منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (1760) السنة السابعة - السبت (3) نيسان 2010

2

نجيب الريحاني بقلم كريم مروة

7

نجيب الريحاني والمسرحية الكوميدية

14

الريحاني.. شارلي شابلن العرب

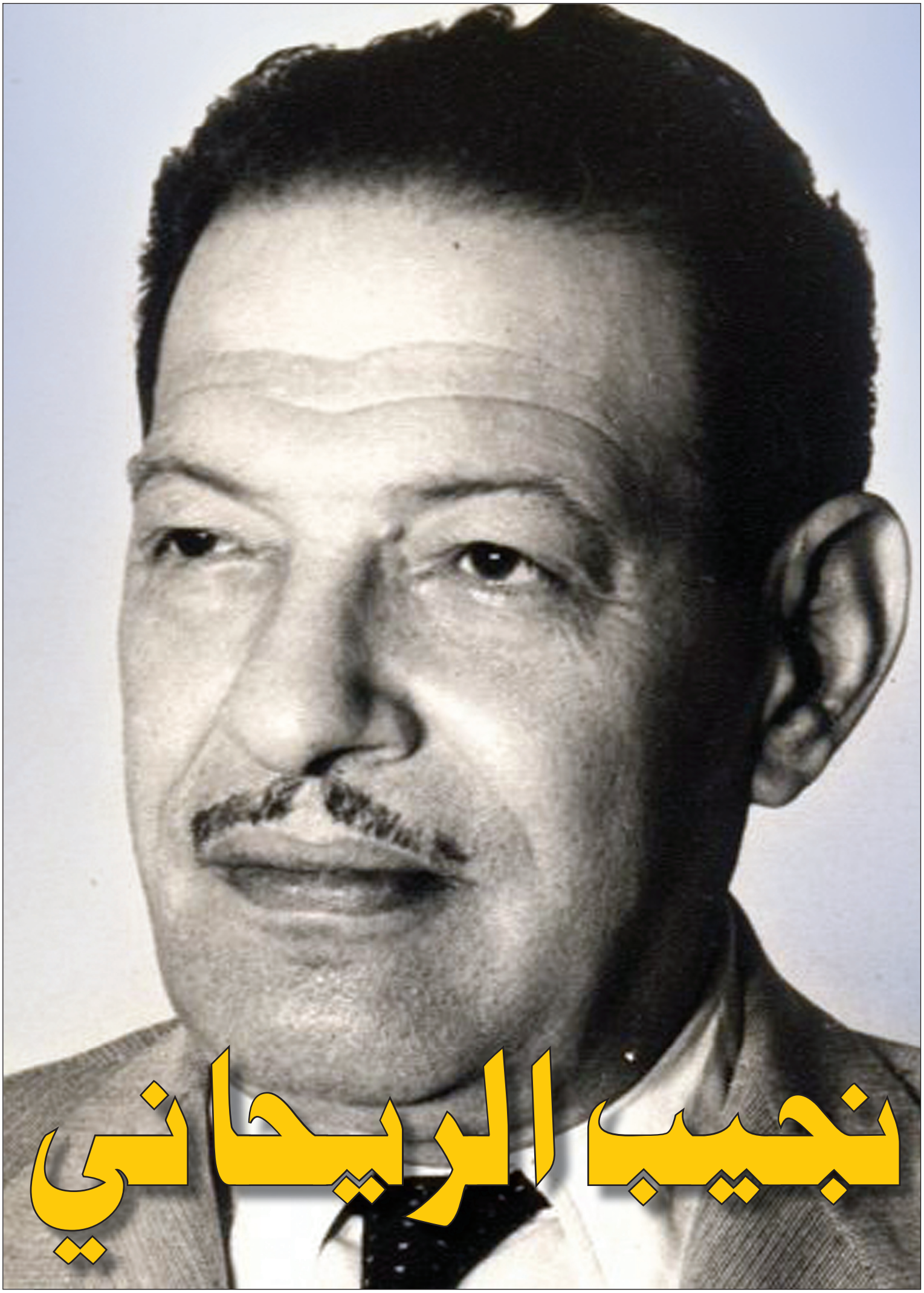

نجيب الريحاني

نجيب الريحاني

تشير سيرة نجيبب الريحاني، الفنان المصري من اصل عراقي ، الى ظاهرة تعددت نماذجها في دنيا الفن والفنانين في عالمنا العربي، جوهر الظاهرة يتمثل في ان اشخاصا كانوا عاديين في نشأتهم ، وفي حياتهم الاولى وفي وسط عائلات من مستويات اجتماعية مختلفة، تحولوا في ظروف صعبة وقاسية وفي المعاناة، وفي الصدف في احيان كثيرة، الى شخصيات فنية كبيرة تركت بصماتها على الحياة الفنية في بلدانهم، وبمقدور أي قارئ لسيرة نجيب الريحاني ان يرى كيف تكونت ظاهرة هذا الفنان الكوميدي، ضد طبيعة الظروف وضد صعوبات الحياة، وكيف اقتحم بعناد وبكفاحية طريقه الى المسرح الذي صنع له وللمسرح، في زمانه المجد على امتداد التاريخ الحديث، ومن مرائف ظاهرة الريحاني في المسرح انه تحول ضد ارادته وضد وجهته في العمل المسرحي، من المسرح الميلودرامي الى المسرح الكوميدي، وتكون مجده المسرحي في الكوميديا التي يقول الناقد المصري علي الراعي بأنها، أي الكوميديا

كريم مروة

قد ارتقت الى مرتبها العليا على يد نجيب الريحاني ممثلاً، ومعه صديقه الشاعر بديع خيري، وقد وصف بديع خيري بدقة معاناة الريحاني في المقدمة التي وضعها لمذكرات صديقه، وقدم للقارئ صورة عن هذا الفنان المسرحي الكبير.

يعتبر نقاد المسرح المصري المعاصرون ان نجيب الريحاني هو الذي فتح امام المسرح المصري الابواب على مصراعيها من خلال تجربته الفذة، من دون ان يكون، في التأليف او في الاخراج او في التمثيل بمستوى كبار كتاب ومخرجي المسرح العالميين ، كانت تجربته ذاتها هي المدخل الحقيقي الى جعل المسرح في الحياة المصرية وفي حياة الشعب المصري، جزءاً حقيقياً من هذه الحياة، لذلك يطلق عليه بعض النقاد صفة "ابو المسرح المصري الحديث، ربما ببعض المبالغة لا بأس.

سمعت باسم نجيب الريحاني وبمسرحه الحديث منذ ان بدأت في سن مبكرة الاهتمام بالمسرح، وقراءة ما كان يصل إلي من نصوص مسرحية باللغتين العربية والفرنسية، وعندما ذهبت، لأول مرة الى القاهرة في عام ١٩٥٤، كنت قرأت معظم ما نشره توفيق الحكيم من مسرحيات، الى جانب ما وصلني من نصوص لكتاب مسرحيين فرنسيين وإيطاليين على وجه الخصوص، لكن معرفتي بمسرح نجيب الريحاني كانت لاتزال ضبابية، الا ان علاقة الصداقة التي ربطتني ، منذ ذلك التاريخ بالشاعر والروائي والكاتب المسرحي عبد الرحمن الشرقاوي، وبالكاتب المسرحي ألفرد فرج، وبالممثل البارع حمدي غيث الذي كان يعتبر يوسف وهبي مثله الاعلى في التمثيل، علاقة الصداقة تلك قادتني الى معرفة ما كنت بحاجة الى معرفته، ولو بحدود معينة، عن نجيب الريحاني.

قبيل رحيله في عام ١٩٤٩ كتب الريحاني مذكراته التي يروي فيها سيرة حياته، السيرة الفنية خصوصاً، ونقتطف من هذه المذكرات بعض الفقرات التي يشرح فيها الريحاني بدايات حياته الفنية، منذ شبابه الباكر، والصعوبات التي واجهته، من دون ان تحط من عزيمته، يقول الريحاني في مطلع المذكرات ، تحت عنوان "اول الطريق" : لست بحاجة الى ان أرجع بالذاكرة الى اليوم الذي تلقفتني به يد العالم. فأذكر اليوم والشهر والسنة. يكفي ان اقفز الى سن السادسة عشرة حين غادرت مدرسة الفرير في الخرنفش، بعد ان تزودت بالمؤونة الكافية من تعليم وخبرة.

كنت حينها اميل الى دراسة آداب اللغة العربية وأتوسع في الحصول على اكبر قسط من فنونها لاسيما الشعر وتاريخ الشعراء.. ولم أكتف بما كنت أتلقى في المدرسة.

فجيئ لي بمدرس خاص اسمه الشيخ بحر، وكنت ألقي عليه بعض المحفوظات بصوت جهوري ونبرات تمثيلية ، فكان الشيخ بحر يعتبر ذلك نبوغاً وعبقرية.

ومن هنا نشأت عندي هواية التمثيل، وكنت من وقت لآخر أقوم بتمثيل بعض الروايات على مسرح المدرسة، ثم هجرت المدرسة والتحقت بسلك موظفي البنك الزراعي حيث كان من بينهم الاستاذ عزيز عيد الذي كان الى عمله ، يحب التمثيل.

وأشير هنا الى ان اول رواية اشتركت في تمثيلها كانت "الملك يلهو" من ترجمة الاستاذ احمد كمال رياض بكن ولم اكن في هذا الوقت اميل الى الكوميديا، بل كانت هوايتي منصبة على الدوام وحده، وكم كنت استظهر قصائد هيجو واشعار المتنبي ولزوميات ابي العلاء ، ثم أخلو بنفسي وابدأ بالالقاء والتمثيل".

ويقول الريحاني في خاتمة المذكرات تحت عنوان "نتيجة": والان يا قارئي العزيز اقف لحظة قبل ان اضع القلم من يدي لأتذكر وإياك أنني قصرت ما نشرت على حياتي العملية ولم أمس الحياة الخاصة الا مساً خفيفاً، وها أنا، بعد ان تذوقت حلو الحياة ومرها حتى الثمالة، اقرأ واعترف ان الواضع إسمي بخطي أدناه، نجيب الريحاني اني خرجت من جميع التجارب التي مرت بي بصديق واحد هو كل شيء، هو المحب المغرم الذي اتبادل وإياه الوفاء الشديد والاخلاص الاكيد، ذلك الصديق هو عملي!! وكثيرا ما اتذكر مع الاخ الصديق بديع خيري واعترف وإياه بأننا كوفئنا حق المكافأة. إذ اكتسبنا جمهوراً يقدرنا ويقدر عملنا، وان كان حظنا من الناحية المادية هو حظ الاديب في مصر.. ولكن معلهش برضه..مستورة والحمد لله وكل ما يهمنا هو ان نشعر بأن علينا رسالة نؤديها للوطن المحبوب، وقد أديناها كاملة وكوفئنا على هذه التادية، وحتى لو فرضنا أننا لم نكافأ فما كان ذلك ليحول بيننا وبين اداء الواجب".

اما صديق الريحاني ورفيق دربه الشاعر بديع خيري، فيعدد في قراءته لسيرة حياة الريحاني الفنية، بعض الصور التي تختصر هذه السيرة ، فيقول: " الصورة الاولى للريحاني هي انه لم يكن مجرد ممثل يكسب عيشه من مهنة التمثيل، بل هو كان فيلسوفاً وفناناً، أصيلاً، عاش لفنه فقط، ولقي الاضطهاد والحرمان

ان اول رواية اشتركت في تمثيلها كانت "الملك يلهو" من ترجمة الاستاذ احمد كمال رياض بكن ولم اكن في هذا الوقت اميل الى الكوميديا، بل كانت هوايتي منصبة على الدوام وحده، وكم كنت استظهر قصائد هيجو واشعار المتنبي ولزوميات ابي العلاء ، ثم أخلو بنفسي وابدأ بالالقاء والتمثيل"

وشظف العيش بسبب تمسكه، بمثله العليا، كان يمكن للريحاني ان يكون موظفاً ناجحاً، وكان أهله يسعون لذلك، لكن حب التمثيل كان يجري في دمه، فكان ينفق ما يكسبه من الوظيفة في اشباع هوايته.. وكنت كلما أبديت إعجابي بتفوقه نهائي عن ذلك.. وكان من رأيه ان الممثل الاصيل هو الذي يظل طوال حياته يسعى الى الكمال المطلق دون ان يراه او يصل إليه.. وبلغ به حبه للمسرح انه لم يلتزم بنصيحة الاطباء بالراحة ستة اشهر حرصاً على حياته، إذ قال: خير ان اموت على خشبة المسرح من ان اموت على فراشي".. والصورة الثانية للريحاني، في نظر صديقه بديع خيري، هي صورة الوطني الثائر الذي جعل المسرح منبراً للوطنية، "فعالج السياسة بالفكاهة" وفتح عيون الجماهير على سوء حالها. وهاجم الانكليز واعوانهم في مسرحياته، وتهكم عليهم، فلقي من عنت الاستعمار واضطهاد السراي الشيء الكثير. لكنه لم يأبه لذلك، وظل سائراً في حملاته اللاذعة فهو اذن قد مهد بفنه للثورة الحديثة في مصر".

ولد نجيب الياس الريحاني في القاهرة في عام ١٩٨٩٢ من أب عراقي وأم مصرية قبطية. وقد امضى طفولته في حي باب الشعرية الذي كان مقر الطبقة المتوسطة في ذلك الزمن. وكان أبوه يمتلك مصنعاً للجبس يدر عليه ربحاً وفيراً، يكفل لزوجته ولأولاده حياة كريمة، التحق نجيب في صغره بمدرسة "الفرير" حيث تلقى تعليمه بالفرنسية، وكان يتميز في تلك المرحلة ، كما تشير الى ذلك تفاصيل سيرته، وكما يصفها هو ذاته في مُكراته ، بهدوئه وبميله الى العزلة، وبانكبابه على الدرس، وظهرت منذ البدايات ميوله الادبية، ولأنه كان يحب الشعر فقد كان يتلو بعض نماذج منه بطريقة تشبه التمثيل. ولم يمض وقت حتى بدأ يشترك في مسرحيات مدرسية، الى ان احتل مركز رئيس فرقة التمثيل في المدرسة.

مات ابوه وهو طالب، فأوصى بكل ثروته لابنة أخته الفقيرة ، بحجة ان ابناءه قادرون على إعالة أنفسهم. ولم يوص لزوجته باي شيء. تابع الريحاني دراسته الى ان حصل على البكالوريا قبل ان يبلغ السادسة عشرة، فالتحق بالعمل في البنك الزراعي، وهناك تعرف على عزيز عيد، وهو مخرج سوري شاب فجمعت بينهما صداقة متينة، وصارا يترددان على الفرق المسرحية في القاهرة، وتمكنا بعد جهد، من الحصول على وظيفة كومبارس في دار الاوبرا وبذلك أتيحت للريحاني مشاهدة عدد من المسرحيات العالمية، ومشاهدة أبطالها في عام ١٩٠٧ قرر عزيز عيد تكوين فرقة خاصة به، وكان من الطبيعي ان ينضم اليه الريحاني وان يتعاون معه.

كان عزيز عيد شغوفاً بالكوميديا اكثر منه بالمليودراما ، وكان يرمي في عمله المسرحي، من خلال فرقته، الى ترقية الكوميديا المصرية المحلية الى مستوى يتجاوز وظيفة الاضحاك البسيط لتصل الى الفن الكوميدي الراقي، لذلك كان يحرص على إطلاع الجمهور على موضوعات الحياة المعاصرة التي كان المسرح الفرنسي احد أرقى نماذجها، كان الريحاني في بداياته قليل الاهتمام بالكوميديا وكان متأثراً بالرأي القائل بأن الدراما هي وحدها الجديرة بالمشاهدة، فانفصل عن صديقه عزيز عيد، لكنه سرعان ما بدأ يتخلى عن رأيه بالدراما، وذات يوم عرض عليه الممثل السوري امين عطا الله، الذي كان قد تعرف عليه في

الريحاني انه مثل ذات مرة في فرقة الشيخ احمد الشامي، وهي فرقة جوالة مشهورة وكانت ظروف العمل شاقة وبدائية، اذ كانت العروض تقدم على ألواح خشبية مرصوصة فوق براميل، وكان الريحاني ينام على الارض، ويتقاضى أجره لبناً وبيضاً، وكان يتقبل الامر بروح مرحة

فرقة عيد، عرض عليه العمل في فرقة أخيه سليم في الاسكندرية، واسند اله دور شارلمان، وكان دورا ثانوياً وفي اول عرض للمسرحية نجح الريحاني نجاحاً باهراً في دوره الثانوي هذا، مما اثار حسد مدير الفرقة سليم عطا الله ففصله من الفرقة، عندها التحق الريحاني بعمل في شركة السكر في الصعيد، لكنه فصل من الوظيفة بعد انفضاح علاقته بزوجة مديره، فعاد الى القاهرة، الى المقهى الذي كان قد اختاره ملجأ له في فترات الصعوبات والبطالة القسرية.

ويذكر الريحاني انه مثل ذات مرة في فرقة الشيخ احمد الشامي، وهي فرقة جوالة مشهورة وكانت ظروف العمل شاقة وبدائية، اذ كانت العروض تقدم على ألواح خشبية مرصوصة فوق براميل، وكان الريحاني ينام على الارض، ويتقاضى أجره لبناً وبيضاً، وكان يتقبل الامر بروح مرحة.

بعد طرد الريحاني من فرقة سليم عط الله صار يقضي اوقات فراغه في المقهى المشار اليه، فلحق به عزيز عيد الذي كان هو الاخر قد ترك فرقة جورج ابيض مع صديقته اللبنانية روز اليوسف ، ثم انضم اليهما بعض الممثلين المفلسين، وكانوا رغم اوضاعهم الصعبة، يتطلعون لتشكيل فرقة لهم. وذات يوم قدم لهم احد رواد المقهى الاثرياء عشرة جنيهات للاستعانة بها في تشكيل فرقتهم، فشكلوا بهذا المبلغ فرقة الكوميديا العربية، التي استهلت نشاطها بعرض المسرحيات المترجمة، وكان من بين تلك المسرحيات مسرحية "خللي بالك من إميلي"، التي هاجمها النقاد لإباحيتها، حيث كان عنوان إحداها "ياستي ما تمشيش كده عريانة". إذ خشي البعض يوحي من العنوان، ان تظهر ممثلة على المسرح عارية، وبالرغم من فشل عيد في هذه الفرقة فإنها كانت، في تقييم النقاد لها، علامة بارزة في تاريخ الكوميديا المصرية، إذ كان إخراج عيد للمسرحية مطابقاً لأسلوب الإخراج الفرنسي.

في فرقة عيد تلقى الريحاني تدريباته الفنية الوحيدة في حياته، اذ تعلم فن الاخراج وتعرف على تقنيات الـ "فارس" Farce" في المسرح الفرنسي الكوميدي، التقنيات التي سرعان ما أعطت لمسرح الريحاني سماته على امتداد حياته المسرحية، وهكذا ، وفي التجربة والمعاناة، تأكد للريحاني، ان موهبته التمثيلية لا تتألق الا في الكوميديا، على ان الريحاني ما لبث ان اختلف مع صديقه عيد في احدى المسائل الحيوية، فقد كان يرى الريحاني ان اقتباس المسرحيات الفرنسية ينبغي ان يتماشى مع ذوق المجتمع المصري وعاداته، واضطر الريحاني بسبب الخلاف مع صديقه، الى ترك الفرقة في عام ١٩١٦.

وكان قد اصبح ذا تجربة تؤهله للدخول الى عالم المسرح بقوة وبكفاءة.

بانفصال الريحاني عن عزيز عيد تبدأ المرحلة الثانية من سيرته الفنية، التي كان قد بدأ يلمع فيها اسمه كفنان كوميدي أصيل، إذ ابتكر ما يعرف باسم كوميديا "الفرانكو –اراب". كما ابتكر شخصيته المشهورة "كشكش بك" ، و"كشكش بك"، عمدة القرية هو رجل عجوز، لكنه شهواني، وهو محبوب لطيبته ولسذاجته ولمرحه ولحبه للحياة.وتبرز في شخصية "كشكش بك"، براءة الريفيين وظرافتهم الفطرية، ولكشكش بك في اغلب الاحيان حماة تدعى "أم شولح" وهي عجوز سليطة اللسان ، تثير له المتاعب من بين شخصيات المسرحية خادم خاص، يدعى "زغرب" وهو يشغل دور خفير القريةن الى جانب كونه خادماً، و "شولح" ، شقيق زوجة العمدة هو صبي ساذج، اما "قواد" وهو غالبا يحتال عليه ويسلبه اموالهن وبين الشخصيات امرأة اوروبية (او عمدة نساء) وظيفتها إغراء كشكش بفتنتها.

وهناك ايضا ممثل يؤدي عدة وظائف لخدمة الحبكة المسرحية.

في عام ١٩١٦ قدم الريحاني اربع مسرحيات جديدة، راعى في تأليفها تقليد الـ "فارس" الفرنسي، هذه المسرحيات هي "خليك ڤقيل" و"هنري يا وز" و"إديلو جامد" و"بلاش أونطة" ، وكانت هذه المسرحيات ذات فصل واحد ، تحتوي على كوميديا مبتذلة نوعاً ما كما وصفها النقاد، الا انها تطورت فيما بعد لتهتم اكثر بالموضوعات المحلية ولترتقي في الاداء وفي الموضوع.

في تلك الفترة بالذات بدأ الريحاني يفكر بإجراء تحسينات على كوميدياته، فاتجه بكل مواهبه الى تقديم استعراضات فنية رفيعة. وطلب من امين صدقي كتابة استعراض "حمار وحلاوة" دام عرض هذه المسرحية فترة طويلة، وحققت نجاحاً كبيراً.

بعد النجاح الكبير لهذا الاستعراض طلب امين صدقي من الريحاني ان يعطيه نسبة حصة من الارباح فرفض، فاستقال صدقي، عندها استعان الريحاني بشاعر ومدرس شاب يدعى بديع خيري، الذي اصبح فيما بعد صاحب الفضل في نجاح استعراضات الريحاني التالية، بأزجاله التي تأسر الاسماع برنينها الوطني، وبين عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ قدم الريحاني عدة مسرحيات، وفي تلك الفترة بلغ مسرح الريحاني أوج مجده.

مع بداية عام ١٩٢٠ خمدت الاضطرابات السياسية التي كانت تغذي الاستعراضات ، فتنبه الريحاني الى ذلك، وقدم مجموعة من الاوبريتات التي تعتمد على روايات "الف ليلة وليلة" ، وتخلى عن شخصية كشكش وعن كوميديا الفرنكو– آراب. واستعان بشخصيات من نماذج شعبية مثل صانع الاحذية وصانع الملابس والموسيقار الخ..

وكان جمهور المسرح قد تحول من اجانب واثرياء حرب الى طبقة متوسطة صاعدة من موظفين وطلبة ومهندسين ومتعلمين.

وكان الريحاني قد قدم في عام ١٩٢٠ باكورة إنتاجه للمرحلة الجديدة مسرحية "العشرة الطيبة" ووصفها بأنها أوبرا –كوميك، وقد عهد الى بديع خيري بكتابة أزجالها، والى سيد درويش بتلحينها، والى عزيز عيد بإخراجها ، لكنها لم تنجح ، لقد تركت تلك الاحداث اسوأ الاثر في نفس الريحاني.. فقام برحلة الى بعض الاقطار العربية ومنها سوريا حيث عرض مسرحيات كشكش القديمة، كان ذلك في الموسم الشتوي عام ١٩٢٠، ولم تنجح الرحلة، لا مادياً ولامعنوياً باستثناء انه التقى في سوريا ببديعة مصابني، فأغراها بالانضمام الى فرقته واتخذها خليلة له.

وكانت بديعة حسناء فاتنة لكنها كانت انانية تحب نفسها، ولاتهتم بأمور سواها حتى اقربهم اليها، وانتهى الامر بينهما الى الافتراق.

عاش الريحاني بين عامي ١٩٢٦ و١٩٣١ فترة مضطربة من المتاعب المادية والازمات العاطفية، وكان قد قرر ترك الكوميديا والاتجاه الى الميلودراما من جديد، بعد ان افتتح يوسف وهبي هذا النمط المسرحي في عام ١٩٢٣ فأحب الجمهور المصري مسرحه، ونجح نجاحاً كبيراً.

كان الحديث عن وهبي يثير الريحاني اذ كان يعتقد انه قادر على تمثيل الادوار الدرامية باتقان يوازي وهبي، او يفوقه اتقاناً. ولما علم باختلاف وهبي مع اعضاء فرقته وانسحابهم منها اغتنم الفرصة وتعاقد معهم ورفع اجورهم ثم افتتح مسرحاً له في عام ١٩٢٦ ، وجهزه تجهيزاً حديثاً، وسماه مسرح الريحاني، وكانت "المتمردة" هي المسرحية التي افتتح بها مسرحه الجديد. وبرغم التعليقات السلبية التي سمعها من النقاد على تلك المسرحية فقد قدم مسرحية ثانية وثالثة كان الجمهور يسخر منها علناً اثناء العرض، مما جعل الريحاني يتألم كثيراً، حتى انه اخذ يبكي في حجرة الملابس. وقد خرج الريحاني من تلك التجربة مفلساً واضطر لأقتراض مبالغ كبيرة لإخراج برامج جديدة.

في أواخر العشرينيات بدأ النشاط المسرحي يتقهقر، وأخذ الجمهور يتحمس للافلام الصامتة، وفي عام ١٩٢٥ قامت اول محاولة لأنتاج فيلم مصري، في وقت كانت الافلام الاميركية تلاقي اقبالاً جماهيرياً. في ذلك الجو ارتأى الريحاني ان يعود الى الكوميديا، فاستعاد شخصية كشكش بعد ان حلّ فرقته والف فرقة جديدة بمشاركة عدد من ألمع الممثلين ، وفي اول شباط من عام ١٩٢٧ افتتحت الفرقة موسمها باستعراض فرانكو –آراب بعنوان "ليلة جنان" ثم "مملكة الحب" ثم "الحظوظ" وكلها تدور حول شخصية كشكش وقد لاقت تلك الاستعراضات نجاحاً لابأس به.

في العام التالي اقتبس الريحاني مسرحية "توباز" لمارسيل بانيون، وازدراءً منه بقوانين الكوميديا، التي أفرط في استعمالها في السابق، بدأ يتناول موضوعات اخلاقية مرسومة بواقعية في مجتمع المدينة المصرية، وفي ذلك الوقت كانت جميع مظاهر الحياة والادب والفنون قد أخذت تتمصر.

توفى الريحاني في عام ١٩٤٩ بعد اصابته بالتيفوئيد وكان لنبأ وفاته وقع أليم في كل انحاء البلاد. وقد امرت الحكومة بإطلاق اسمه على احد الشوارع وبعد ثلاث سنوات خصصت جائزة باسمه لأحسن طالب في معهد الفنون المسرحية.

لقد مرت ستة عقود على وفاة الريحاني، لكن اسمه ما زال يشع بين الاسماء الكبرى التي يرتبط تاريخها بتاريخ المسرح الحديث في مصر. فهو مع تلك الاسماء الكبرى ومن ابناء جيله من ابناء الجيل الذي جاء بعده، قد شارك بكفاءة في صنع مجد المسرح المصري.

كاتب لبناني

تجربة نجيب الريحاني السينمائية

يوسف العاني

نجيب الريحاني قمة من قمم المسرح اولاً وواحد من علامات مضيئة في سياق السينما المصرية اذ ظل وحتى آخر يوم في حياته يؤكد قيمة (الانسان) حقيقة لا يمكن اغفالها او انكارها وبعمق هذه الحقيقة حين يقدمها مجسدة على المسرح او في السينما التي ظلت تفتقر الى (الانموذج) المقنع من خلال (الكوميديا) عالية المستوى التي لا تنجر الى التهريج والسطحية والابتذال في كل المشاهد المضحكة اذ تظل (المرارة) المؤسية تقبع خلف الحدث صورة اوحواراً او تعبيراً بليغاً ليدخلنا دون ان ندري آنذاك بما يسمي بـ(الكوميديا السوداء).

هذا الريحاني الذي سحرنا عبر ما قدم على المسرح في مراحل مختلفة وتغير بل تطور تطوراً ملحوظاً حتى آخر مسرحية قدمها عام ١٩٤٦ هي (سلاح الىوم) التي كان للسينما من هذه المسرحيات ومواضيعها نصيب ظل علامة متميزة في مسارها وتأكيداً على قيم اخرى تضاف الى المفهوم الذي شاع في افلام الكوميديا السطحية التي لا تعمل الا لإثارة الاضحاك على (الانسان) الذي يصنعه الريحاني في اعلى قمة من قمم الدنيا. الحديث عن الريحاني يطول ويطول فقد قدم منذ عام ١٩١٦ اول مسرحية ليبلغ عددها ٨١ مسرحية قبل ان يفارق الحياة عام ١٩٤٩ وهــو يتألق في فيلم (غزل البنات).

لكن الذي دعاني الى الاشارة اليه والى فنه الخالد احد افلامه (لعبة الست) الذي عرض قبل ايام في احدى القنوات الفضائية والفيلم انتج عام ١٩٤٦ اي قبل ستين عاماً وكان مثلا وفي العام نفسه فيلم (احمر شفايف) وكلا الفيلمين اخرجهما ولي الدين سامح تلاهما فيلم (ابو حلموس) ثم غزل البنات عام ١٩٤٩. الريحاني سبق ان دخل السينما وهو في قمة المجدالمسرحي عام ١٩٣٧ في فيلم (سلامة في خير) ليكسو كل المكونات الهزيلة للفيلم الكوميدي الشائع آنذاك التي تميزت بفراغها الفكري وسطحيتها التي تخاطب المشاهد وتضحكه -كما اشرت- على الانسان. (سلامة في خير) وبعده فيلم (سي عمر) عام ١٩٣٩ الذي عرض عام ١٩٤٠ واخرجه نيازي مصطفى بقيا في الذاكرة ليعود الريحاني محملاً بعمق تجربته المسرحية وحسابه الدقيق في اهمية الهزل العميق الذي قلنا عنه (الكوميديا السوداء) بالمفهوم الحديث للضحكة المُرّة التي تثير التفكير بالحالة المجسدة امام المشاهد.

و(لعبة الست) الفيلم الذي عرضته علينا احدى القنوات الفضائية يثير فينا ومن جديد تساؤلاً عن افلام شارك في تقديمها جمع من فنانات وفناني مصر في مرحلة تميزت بالامانة الفنية -ان جاز لي هذا التعبير- هذه الامانة التي فقدت او فقدها صانعو السينما بعد حين لتتحول السينما عندهم (صنعة) سهلة خالية من المقومات الفنية الغنية بالطرح العالي لكل جوانب الحياة ايجابها وسلبها، ما يبكي وما يضحك، وليصير السوق هو مكان العرض وليست الشاشة النظيفة البيضاء وتصبح مشاهدة بعض من تلك الافلام العتيقة المشبعة بـ(العتق) الفني الامين دافعاً لأن نتمنى لو ان السينما المصرية عادت الى الوراء سنوات وسنوات وظلت منطلقاتها تلك النماذج القيمة النبيلة.

قبل حديثي هذا وقبل سنوات دعوت الى اقامة ندوة مع الصديق سمير فريد الناقد المعروف في القاهرة الى اعادة (تقويم) السينما في مراحل مضت، كنا لا نعير اهتماماً لأفلام نعدها الان ذات قيمة فنية كبيرة ولم نكن آنذاك نهتم بها او نشير الىها ونكشف الابداع فيها بل لا نكتشف ذلك الابداع واشرت الى بعض من افلام نيازي مصطفي التي تقع في سياق (الخيال العلمي) والى نماذج من افلام (موسيقية) تقف في مصاف افلام عالية المستوى من الدقة والجمال في العرض مع بساطة الفكرة والىسر في طرح الموضوع الخالي من الافتعال والمبالغة.

(لعبة الست) الذي ضم: نجيب الريحاني وتحية كاريوكا وبشارة واكيم، سليمان نجيب، ماري منيب، عزيز عثمان، عبد الفتاح القصري، حسن فايق، واخرين لا اتذكرهم، كلهم فارقوا الحياة لكنهم امامي الىوم محط احترام واعتزاز وتقدير ومحبة.

الفيلم جمعهم بموضوعه البسيط لكن فكرته وطريقة معالجتها كانت مشبعة بالسخرية العميقة تعظيماً لقيمة الانسان البسيط الخالي من الحــقد والكراهية وسوء السلوك. انسان يحلم بحياة تشيع فـيها الدعة والمحبة وروح التعاون.

الاحداث والمشاهد والحوار تسير كلها برهافة خالية من الصنعة المفبركة باخراج مقبول ومريح. وكل الشخصيات دون استثناء رسمت لنفسها مواصفات (كاركتر) يتميز عن الشخصيات الاخرى لكنها ليست (نشازا) حتى في خروجها عن الواقع المألوف احيانا.

فيلم يستطيع ان يؤثر فينا الىوم ويمتعنا ويدعونا الى التفكير بما كان والذي ظل منه نزر قليل في افلام يتبناها فنانون جديرون بالاحترام اما الكثير مما طرح عبر تلك السنوات فقد خرج -كما اشرت- عن الفهم الفني الامين للسينما ليسقط في السوق بضاعة رديئة مع الاسف.

هذا الريحاني الذي سحرنا عبر ما قدم على المسرح في مراحل مختلفة وتغير بل تطور تطوراً ملحوظاً حتى آخر مسرحية قدمها عام ١٩٤٦ هي (سلاح الىوم) التي كان للسينما من هذه المسرحيات ومواضيعها نصيب ظل علامة متميزة في مسارها وتأكيداً على قيم اخرى تضاف الى المفهوم الذي شاع في افلام الكوميديا السطحية التي لا تعمل الا لإثارة الاضحاك على (الانسان).

الناقد الساخر الضاحك!

محمد صالح

في يوم٨ حزيران ١٩٤٩، توفي الفنان نجيب الريحاني في أثناء تصوير آخر أفلامه(غزل البنات) الذي لايزال يمتعنا ويدعونا الي التأمل والتعجب من متناقضات الحياة وغرائب السلوكيات ثم يضحكنا عليها، وذلك بغض النظر عن عدد مرات المشاهدة. لانك في كل مرة تعجب وتدهش وتضحك وأنت تتابع قصة أستاذ حمام المدرس الغلبان الذي يلازمه الحظ السيىء طوال حياته وعندما تبتسم له الحياة ليصبح مدرسا خصوصيا لابنة الباشا لتعليمها اللغة العربية يكتشف ان الخدم العاملين في القصر، يتقاضون أضعاف مرتبه الهزيل، فيصاب بالذهول وتتواصل الاحداث لتنتهي والدموع تسيل على خديه تأثرا وهو يستمع الى أغنية عاشق الروح التي تعبر عن حبه البائس لابنة الباشا، وعندما تشعر بحبه تعتذر له..

فيضحي في سبيل إسعادها مع من تحب! الفيلم رأيته منذ أيام لمرة قد تكون فوق الخامسة، حيث عرضته احدى الفضائيات في الذكرى الستين لرحيل الريحاني: أهم فناني الكوميديا المصريين والعرب خلال النصف الأول من القرن العشرين، ولمناسبة مرور ٦٠ سنة على انتاج هذا الفيلم الذي يعتبر الاعلى قيمة والأكبر انتاجا بين أفلام نجيب الريحاني، وهو الفيلم الذي أنتجه وأخرجه أنور وجدي، واشترك فيه معظم نجوم مصر أيامها، ومنهم: ليلي مراد أغلي الممثلات أجرا طوال فترة اشتغالها بالسينما، وسليمان نجيب ويوسف وهبي ومحمد عبد الوهاب ومحمود المليجي وفريد شوقي وعبد الوارث عسر واستيفان روستي وفردوس محمد وكلهم من نجوم العصر الذهبي للفن المصري.

نجيب الريحاني، حكاية نستعيدها في ذكراه الدائرية

العشرية السادسة لقيمته الكبيرة بين الفنانين العرب حيث إنه الوحيد بين فناني القرن العشرين الذي استطاع أن ينتزع لقب موليير الشرق من رائد فن التمثيل في مصر خلال القرن التاسع عشر يعقوب صنوع الذي أقام أول مسرح مصري عام١٨٧٠، وكان يكتب ويخرج ويمثل ادوار البطولة بالضبط كما كان يفعل موليير في القرن السابع عشر والذي يعتبر اعظم كاتب مسرحي كوميدي فرنسي.

الخديو اسماعيل اطلق لقب موليير الشرق على يعقوب صنوع الذي اشتهر بلقب ابو نضارة بعد ان شاهده يمثل. على مسرح اقامه له في قصر عابدين. ثلاث مسرحيات هي: (آنسة على الموضة)، و(غندور مصر) و(الغرتان). وكان يعقوب صنوع قد قدم على مسرحه خلال عامين٣٢ مسرحية بين مؤلفة ومعربة ومقتبسة، وقد حرص فيها على نقد الاجانب وسلوكياتهم. ولم يسلم الخديو نفسه ولا حكومته من نقده اللاذع وكانت مسرحية(الوطن والحرية) هي الختام، حيث تضمنت هجوما مباشرا على الخديو وحكومته. فأمر باغلاق مسرحه ليماريس بعدها يعقوب صنوع اعمالا مختلفة خاصة في مجال الصحافة باسم ابو نضارة.

يجتمع نجيب الريحاني مع يعقوب صنوع أيضا بأنه مثله من مواليد حي باب الشعرية الذي ولد به أيضا الموسيقار محمد عبد الوهاب.

اما حكاية نجيب الريحاني الذي انتزع لقب موليير الشرق من يعقوب صنوع الذي كان ملء السمع والبصر قبل مولد الريحاني غير المعروفة سنه على وجه التحديد، فنقول انه كان ابنا لرجل عراقي الاصل، كان يعمل تاجرا للخيول وأم قبطية مصرية وقد حالت ضائقة مالية دون اكمال تعليمه، فمارس عديدا من الاعمال وكثيرا ما صدمته لافتة لا توجد وظائف خالية وهو ما نشاهده في افلامه حيث نراه يتجول في أنحاء العاصمة بحثا عن عمل وذلك قبل أن يلتقي بعزيز عيد وينضم لفرقته ثم يلتحقان معا بفرقة عكاشة ليقدما فاصلا فكاهيا قبل تقديم العرض الرئيس. ويختلف مع عزيز عيد بعد ان كونا فرقة مشتركة. وقدم الريحاني شخصية كشكش بيه عمدة كفر البلاص المحب للحياة المبذر في الملاهي الليلية.. وهي شخصية ابتكرها من واقع المال وتصرفات بعض الاثرياء الذين اغتنوا من الوطن خلال الحرب الاولى ناقدا تلك التصرفات،

ثم التقى ببديع خيري وقاما معا بتمصير عشرات المسرحيات الفرنسية ثم كونا معا فرقة نجيب الريحاني وأقاما مسرحا يحمل اسمه قدما من خلاله اعمالا نقدية اجتماعية تكشف سلبيات المجتمع بأسلوب ساخر وقد اشترك في كتابة تلك الاعمال مع صديق عمره بديع خيري ومنها: (السكرتير الفني)،(الدنيا لما تضحك) و(ياما كان في نفسي)،(الا خمسة)،(قسمتي).. وقد أعيد اخراج تلك المسرحيات وغيرها عدة مرات بعد رحيله، ولاتزال الفرق الشابة تعاود تقديمها من وقت الى آخر.

الى جانب المسرح قدم نجيب الريحاني عديدا من الأفلام السينمائية منها(سلامة في خير) و(سي عمر) و(لعبة الست) و(أحمر شفايف) و(أبو حلموس).. ثم كان الختام(غزل البنات) حيث مثلت أمامه لاول مرة ليلي مراد بعد أن أصر على ان يقاسمها بطولة فيلم قبل ان يموت: وكان الفيلم الخالد مهما مرت السنون لقيمته الفكرية والفنية والنقدية في موت الحياة والمجتمع ومتناقضاته، وقد اشترك الريحاني في كتابة حواراته مع بديع خيري.

من جريدة الايام في عددها الصادر في ١٩٦٢/٩/٢٧

نجيب الريحاني نابغة المسرح العربي

مشكور الاسدي

في عام ١٩٥٩ صدرت من سلسلة كتاب الهلال (مذكرات نجيب الريحاني) بقلمه بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته وقدم لها صديقه وزميله الاستاذ بديع خيري بمقدمة حفل بها شخصيته الفذة وقد اعدت في هذه الايام قراءة هذه المذكرات الطريفة، ولفت نظري الى ان الكاتب لم يشر اية اشارة الى سنته ومودته ولامحلها كما لم يذكر شيئا عن اسرته واصلها ونسبها

ينحدر من اسرة عراقية في الموصل وله اقارب يعملون في انحاء متعددة من العراق وبعض الاقطار العربية تحقيق صحفي عن الممثل العبقري واثاره الفنية وذكرياته

اشار الاستاذ عبد الحميد الرشودي في (الايام) الى ان والد الفنان العبقري نجيب الريحاني مولود في العراق، فجاء كلام الاستاذ خالص عزمي معقبا على قوله قائلاً: ان الفنان نفسه مولود في العراق ومع ذلك (فهذا لايثبت عراقيته نسبا بل مولدا).

اقول: ان الريحاني عراقي صميم مولدا ونسبا، فقد ولد في مدينة الموصل، في حدود عام ١٨٩٠ ميلادي كما استنتجت ذلك – أي تاريخ الولادة – من مذكراته التي سيأتي نبوءها بعد قليل، وهاجر ابواه به وبأخيه الاكبر الى مصر وهما صغيران.

واسرته في العراق ذات فروع، وابناؤها معروفون يعيشون بيننا في بغداد والبصرة وكركوك والموصل، وفي الاردن قبيل منهم.

ان استقاء حقيقة عراقية الريحاني من اسرته هو القول الفصل في الموضوع، ويقطع السبيل على من يشك في هذه النسبة.

كنت اعلم منذ عام وفاة الريحاني ١٩٤٩ ان بعض افراد اسرته في العراق حاولوا التحري عمن خلفه من ثروة في مصر وامكان استفادتهم منها كوارثين، فكان الجواب ان الذي ورثه هو شقيقه يوسف المذكور انفا، وكان من تركته بيت شيده (فمات قبل ان يسكنه وكان يريد ان يخصصه بعد وفاته ملجأ للممثلين المتقاعدين)، كما ذكر ذلك الاستاذ بديع خيري في مقدمة مذكرات نجيب الريحاني.

وكان ممن يعلم هذه الحقيقة ايضا الاستاذ المحامي بهاء الدين الضراع الذي تربطه صداقة ببعض اسرة الريحاني في بغداد.

منذ اسبوع زرت مع الاستاذ الضراع السيد سليم الريحاني، الذي يشتغل في بعض الاعمال الحرة، ولي به معرفة قديمة فسألته عن نجيب، وبرغم انه افادني ببعض المعلومات عنه وعن اسرته الموصلية، احالني على شخص اخر، من العائلة للاستزادة من هذه المعلومات، وهذا الشخص هو الاستاذ يوسف الريحاني مدير قسم الترجمة في مصلحة الكهرباء الوطنية وهو اليوم من أنبه افراد الاسرة، وقد عمل فترة في الصحافة واصدر مجلة اسبوعية باسم (الاخبار المصورة) عاشت سنتين (١٩٤٠ -١٩٤٢) وله معجم ضخم باصطلاحات العلوم والفنون والصناعة والزراعة والكيمياء والفيزياء والميكانيك باللغة الانكليزية وما يقابلها باللغة العربية حبذا لو عطف المجمع العلمي العراقي نظره الى هذا الكتاب وجرت محاولة طبعه والاستفادة منه.

زرت الاستاذ يوسف في داره، قد سر للاهتمام المبذول في الحديث عن عراقية قريبة المرحوم نجيب واطلعني على شجرة نسب الاسرة.

ان نجيب هو ابن الياس بن قسطنطين بن بهنام بن يعقوب بن عبد الرحيم.

وعبدر الرحيم هذا هو الجد الاعلى للاسرة ، هاجر الى الموصل تاركا مسكنه في (خربوط) الواقعة غربي ديار بكر ومعه ابنه يعقوب.

وكان عبد الرحيم يعرف بالصباغ للاقمشة والثياب وزركشتها وتنميقها بالالوان وهو عمل يدخل فيه عنصر الفن من باب جميلة.

وقد حل لقب (الريحاني) محل لقب (الصباغ) في الاسرة حين وصف معاصرو احد احفاد عبد الرحيم بالريحان لرقته وبهائه.

وعند بهنام يلتقي فرع الاستاذ يوسف بفرع نجيب.

وقد تفرقت الاسرة وتشعبت في غضون المؤرخين بعضها، ومنها اليوم فرع في الاردن كما تقدم، الى جانب فرعها في مصر اما الاصل ففي العراق، ومنه، وكان الاتصال بالمراسلة مستمرا الى وقت قريب بين فرع الاردن وبعض افراد الاسرة في الموصل، كما كان يوسف شقيق نجيب يكاتب من مصر المرحوم القس جرجس الريحاني في الموصل المتوفى منذ عقد من السنين، وهو عم يوسف الريحاني الذي زرته منذ اسبوع وافادني بكثير من هذه الافادات ، وكان مضمون هذه الرسائل المتبادلة ينحصر في السؤال عن احوال الاسرة وما الى ذلك من المجالات وازجاء العواطف، وربما تكون هذه الرسائل محفوظة حتى اليوم لدى احد من افراد الاسرة في الموصل او غيرها، من المدائن العراقية التي يعيش فيها الريحانيون.

وفي الموصل التي انبتت هذا العبقري لاتزال دار اسرته قائمة تحمل على بابها أو على احد حيطانها تاريخ بنائها الذي يعود الى ما قبل حوالي (٢٠٠) عام الى جانب بيت او بيتين من الشعر المناسبين للمقام حسب ذوق الذي شيد الدار في ذلك الحين وهذه الدار واقعة في محلة الساعة (جولاغ).

قال لي السيد يوسف ان نجيبا حين توفى كتبت عنه بعض الصحف في سياق نعيه بأنه ابن الياس الموصلي.

ومن المعروفين من هذه الاسرة العراقية المرحوم داود بن نعمان وهو والد السيد سليم المار ذكره، وكان اديبا له كتاب بعنوان (بلوغ الارب في امثال العرب) جمع فيه من الامثال العربية بمقدار ما استطاع. وشرحها والكتاب لايزال مخطوطا لم يطبع.

وتولى بعض افراد الاسرة مناصب ذات اهمية اجتماعية في حينه فقد كان جد الاستاذ يوسف الريحاني (واسمه يوسف ايضا) عضوا في مجلس الادارة بولاية الموصل في العهد العثماني.

واكبر افراد الاسرة اليوم هو السيد بهنام شقيق السيد يوسف ديسكي في البصرة.

ومن افرادها في بغداد ايضا الدكتورة سيرانوش الريحاني.

واعود الى نجيب..فأقول اني حضرت بعض حفلاته المسرحية، كما رايته مرة في حالته الطبيعية في احدى الدوائر الرسمية في القاهرة في عام ١٩٤٨ أو قبله بعام، وقد تجمع بعض الشبان والشابات على باب الغرفة التي كان جالسا فيها، يسرفون اليه بالنظر الضاحك المعجب وكان نجيب يبادلهم التعاطف باستحياء بابتسامة مشرقة وسيماء تبعث على راحة النفس وسرور القلب.

في عام ١٩٥٩ صدرت من سلسلة كتاب الهلال (مذكرات نجيب الريحاني) بقلمه بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته وقدم لها صديقه وزميله الاستاذ بديع خيري بمقدمة حفل بها شخصيته الفذة وقد اعدت في هذه الايام قراءة هذه المذكرات الطريفة، ولفت نظري الى ان الكاتب لم يشر اية اشارة الى سنته ومودته ولامحلها كما لم يذكر شيئا عن اسرته واصلها ونسبها ولم يذكر والده بأي نبأ، اما والدته فقد اشار اليها اشارات خفيفة من غير ان يذكر اسمها ولا أي تعريف شخص بها. سوى انه سجل سنة وفاتها اذ توفيت عام ١٩٢٢.

وكانت والدته هذه تكره لنجيب ان يعمل في التمثيل وخاصمته من اجل ذلك.

فلما نجح ورأت اسمه يلمع باحترام في المجتمع عادت فرضيت عنه والظاهر ان اباه قد توفى قبل وفاة امه، وكان له اخ اصغر (أي الثالث بين اولاد الياس المهاجر) اسمه (جورج) ولد في القاهرة بعد نزوح العائلة اليها، وقد اختفى هذا الاخ الاصغر في ظروف غامضة وكان ذلك ضربة مؤلمة لنجيب.

وتفجع عليه في مذكراته امر تفجع، قال عنه بديع خيري في مقدمة للمذكرات ما يلي: (..اختفى قبل موت –الريحاني– بسنوات طويلة لغير ما سبب، وقد ظل سبب اختفائه حتى مات نجيب الريحاني–ولا يزال – لغزا غامضا تكتنفه الاشاعات فمن قائل انه اسلم وانضم الى جماعات الصوفية ومن قائل انه ترهب واعتكف في احد الاديرة).

واشار نجيب في مذكراته الى فقرة ونفى اسرته عام ١٩١٣ حين تنبأت به (قارئة كف) في ذلك العام بأن (اموالا ستتداولها يده) وتعجب من اين ستأتي له الاموال، وكان موظفا بسيطا في ذلك الوقت وهاويا للمسرح والتمثيل –قال: (فتشت عن قريب لي من ذوي الثراء، ورحت ابحث عن شجرة العائلة، وادرس اصولها وفروعها لعلي اعثر على واحد بينهم لا وريث له..) فلم يعثر على بغيته!.

وذلك يعني انه كان يعلم بحقيقة اسرته، وبشجرتها.

وقد وصل الى علمي انه سأل –وربما كان ذلك في هذه الفترة من حياته – من بالعراق من اسرته عن نصيبه من ثروتها فأجيب ان اسرته في الموصل لا تملك الا ارضا لا نفع فيها.

كتب الريحاني مذكراته عام ١٩٤٦ أو بعد ذلك بقليل.

وقال عنها انها اقتصرت على حياته العملية وحدها ولم يمس بها الحياة الشخصية (الا مسا خفيفا كانت تقتضيه ظروف السرد والشرح).

والذي يقرأ هذه المذكرات يرى ان الكاتب أوغل في مس حياته الشخصية وليس كما قال.. كما كان صريحا جدا في كل ذلك.

والحقيقة ان حياته الشخصية لايمكن ان تفصل عن حياته العملية. فكلاهما حياة واحدة غير منقسمة، لذلك فنحن نستغرب كثيرا عن سكوته المطبق عن اصل اسرته وعدم تحدثه عن مولده ونشأته الاولى.. فقد قفز في سرد المذكرات الى سن السادسة عشرة من عمره (حين غادر مدرسة الغرير بالخرنفش ، بعد ان تزود بالمؤونة الكافية من تعليم وخبرة).. اما قبل ذلك، فلا شيء..!

لماذا فعل ذلك؟ هل يمكننا ان نحمل ذلك على محمل عدم رغبته في التحدث عن اصله العراقي ونسبه الموصلي لسبب او لاخر أو ان مذكراته التي نشرت بعد وفاته بعشرة اعوام غير كاملة، او انها وصلت الى الناشر ناقصة ولم يكن له يد في هذا النقصان؟

كان الريحاني (فيلسوفا فنانا) و(كانت الفكاهة في دمه) وكانت حياته عبارة عن (ضجة صاخبة) وكانت العربية والفرنسية ، ترجم من الثانية مسرحياتي وروايات والف بنفسه اثارا كثيرة اخرجها على المسرح، ويعتبر من الاوائل الذين بنوا مجد المسرح العربي وقد زامل واشترك مع نجوم هذا المسرح الاوائل كجورج ابيض وعزيز عيد وروز اليوسف وسيد درويش انه مفخرة من مفاخرنا الفنية، استطاع ان يخدم مجتمعه عن طريق فنه الصادق خدمة لا تنسى.

واخيرا اقول لعل الاستاذ الفاضل، مؤرخ الاسر الموصلية، السيد عبد المنعم الغلامي، يتحفنا ببيان ما لديه عن هذه الاسرة الموصلية العراقية الذي انجبت هذا الفنان الكبير.

جريدة البلد ١٩٦١

من منا لا يعشق الضحك خاصة إذا كان الهم لاتمحوه إلا هذه الايماءات والايحاءات الصادرة من (كوميديا) عبقري كنجيب الريحاني.

لم يكن أحد يتصور أو يتخيل ان هذا الطفل الانطوائي المولود عام ١٨٩١ من أم مصرية وأب عراقي موصلّي كلداني أسمه إلياس ريحانة يعمل بتجارة الخيل، حط رحاله في القاهرة ليتزوج من سيدة مصرية قبطية، سوف يكون له شأن كبير في عالم الفن. حي باب الشعرية الشعبي في القاهرة إحتضن هذه العائلة الهادئة التي كانت تتطلع أن يمنحها الله طفلا يملأ عليهم حياتهم، فكان لهم ما أرادوا فها هو نجيب يقلب عليهم معادلة السكون التي تعودوا عليها، إلى صخب وصراخ سرعان ما لبث أن أصبح هدوءا مرة ثانية بسبب تخطي نجيب مرحلة الطفولة ودخوله مدرسة الفرير الابتدائية التي اجتازها بنجاح، إلا إن تلك المرحلة من حياته طبعته بطابع الانطوائية ألتي عانى منها حتى وفاته،

نجيب الريحاني.. الكوميدي الحزين

احمد فاضل

وقد وصف الكاتب الكبير (يحيى حقي) سبب تلك الانعزالية والانطوائية التي كانت تميزه في تلك الفترة على انها نتيجة لشعوره بفارق مكتوم بينه وبين المصريين بسبب تربيته وعدم اختلاطه المبكر مع اقرانه من أبناء حارته.

هذا الانطواء لم يمنع نفسه التواقة إلى المرح من المحاولة للخروج من هذا القمقم، فظهرت عليه بعض الملامح الساخرة الخجولة، وعند نيله شهادة البكالوريا احس بأن حالتهم المادية قد تدهورت بسبب كساد تجارة والده فاكتفى بهذه الشهادة وراح يبحث عن عمل يساعد به الاسرة فالتحق بوظيفة كاتب حسابات في البنك الزراعي وفي هذا البنك تعرف على (عزيز عيد) الموظف بالبنك نفسه والذي كان يقوم بالتمثيل في بعض المسارح ألموجودة آنذاك فأقنعه أن يعملا سوية، وبسبب عدم تفرغهما للعمل الحسابي في ذلك البنك فقد تم الاستغناء عنهما فعادا سوية إلى شارع محمد علي الصاخب والضاج بحركة المسارح والملاهي، فعملا على تقديم بعض العروض، إلا ان عيد سرعان ما عمل على تأسيس فرقة مسرحية بأسمه وقدم نجيب الريحاني إلى الجمهور ألمسرحي الذي اعجب به، إلا ان بعض مسرحيات عزيز عيد لم يحالفها الحظ ولم تعجب الجمهور فأعلن عيد غلق مسرحه، وهنا نشب خلاف كما ترويه السيدة فاطمة اليوسف صاحبة مجلة (روز اليوسف) الشهيرة، في مذكراتها قائلة:

لم تنجح احدى الروايات التي قدمها عزيز عيد على المسرح.. ولم تستطع هذه الفرقة المجاهدة أن تقف في وجه (الكباريهات) والصالات أكثر من أسبوعين.. ثم أسدلت ستارها الاخير.. وتكاثر الناس حول عزيز عيد يحاولون إقناعه بأن يغير رأيه.. أن يتخلى ولو قليلا عن ُمثله الفنية.. ولكنه أبى، وكان أول من إنشق من (الشلة) نجيب الريحاني.. إذ تشاجر مع عزيز عيد.. وصاح فيه: إذا كنت لا تريد أن تعيش فإننا نريد أن نأكل) (١).

بعد هذا الخلاف اتجه الريحاني لتأسيس فرقته المسرحية مع (بديع خيري) الموهبة الفنية الفذة والذي أصبح فيما بعد توأمه الفني، إذ استطاعا تقديم ٣٣ عملا مسرحيا ما جعل منتج الافلام السينمائية يتجهون اليه لاقناعه من تقديم هذه الأعمال التي اشتهرت للسينما، وبعد فترة قصيرة إستجاب الريحاني لهذه العروض

وكانت باكورة أعماله السينمائية فيلم (صاحب السعادة كشكش بك) عام ١٩٣١ والذي اخرجه مع إستيفان روستي، ما زاد في شهرته وأصبحت اعماله مثار جدل الصحف والمجلات آنذاك كمجلة (روز اليوسف) و(آخر ساعة) و(الاثنين والدنيا) وغيرها.

هذا النجاح تزامن مع زواجه الأول من عضوة مسرحه (لوسي فرناند) الذي لم يعمر طويلا إذ سرعان ماتم الطلاق بينهما لأسباب نجهلها، فتركت لوسي فرقته المسرحية وعادت إلى المانيا دون أن تخلف له أبناء، لكن الذي حدث بعد سنوات هو ظهور (جينا) الفتاة الالمانية ألتي أدعت إنها إبنة الريحاني، وفي هذا المجال يذكر الدكتور (أحمد سخسوخ) الناقد المسرحي والعميد الاسبق لمعهد الفنون المسرحية بمصر بأن هذه الفتاة لا تمت بصلة له لأنه ببساطة لم يكن ينجب (٢).

بعد طلاقه من زوجته الاولى عاد الريحاني إلى وحدته المعتادة إلا انه حاول الخروج منها بالسفر فحزم حقائبه وكانت لبنان وجهته، فمكث فيها أياما وليالي، تعرف فيها إلى أشهر راقصات لبنان وهي (بديعة مصابني) فاعجب بها وأُعجبت به، فتم الزواج وعادا سوية إلى مصر لمتابعة الأعمال الفنية إلا ان غيرة النساء التي ليس لها حدود وبسببها تحطم ذلك ألعش الزوجي بالطلاق.

عُرف عن نجيب ألريحاني إبتكاراته لشخوص مسرحية ظلت عالقة في أذهان الجمهور منها إبتكار شخصية وثيقة الأرتباط بالواقع ألمصري وهي الشخصية التي إشتهر بها فنيا كشكش بك، عمدة كفر ألبلاص، المتلاف، الذي ينفق أمواله في اللهو، ثم دخل في منافسة فنية مع أشهر فنان مسرحي في ذلك ألوقت وهو (علي ألكسار) ثم قدم (ألعشرة ألطيبة) لخالد ألذكر (سيد درويش) ثم (الليالي ألملاح) وغيرها من الأعمال الفنية التي شدت الجمهور إليها وباتت حديث ألشارع صباح مساء.

أما أفلامه السينمائية فتعد قليلة لكنها أصبحت من كلاسيكيات السينما العربية، وذات المضامين العالية والأحساس الشعبي الناقد، وقد أثبت فيها الريحاني جدارة فنية عالية إستطاع من خلالها أن يؤسس لما يعرف بالكوميديا السوداء، إضافة إلى خلق أعراف جديدة حاول الريحاني تطبيقها منها إلتزام ألممثل بالوقت وألحرص عليه وأنتقاء ألقصة ألواقعية التي تحاكي ما يشعر به رجل ألشارع، أما حكاية دموعه التي ذرفها عند تمثيله لمشاهد فيلمه الشهير (غزل البنات) فيرويها لنا موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب قائلا: (كان فيلم غزل البنات الذي قمت بإعداد الموسيقى التصويرية والألحان له والتي شاركت في بطولته وأدت الحاني الفنانة الكبيرة ليلى مراد بجانب أنور وجدي ويوسف وهبي وسليمان نجيب، وكان ألفيلم يتضمن أغنية واحدة لي هي عاشق الروح، واثناء تصويرهذه الأغنية وجدت الريحاني جالسا في ركن من الغرفة وكأنه يكلم العفاريت، والتفت إليّ وقال نحن جاهزون يا أستاذ.. ولما إبتدأ تصوير الأغنية وانتهيت الى كوبليه:

ياليل يا عين أشتكيت من طول سهادي يا ليل والكأس في إيدي تملت من دمع عيني

يا ليل أحسست بأن نجيب ألريحاني قد بدأت عيونه تتحرك ضاغطة على دمعها ألذي بدأ ينسال منها كالمطر الغزير حتى إذا قلت:

وكم من فجر صحيتو وصحاني على عهودي وحتى العين في قفلتها بتصحي

دموعها في خدودي وجدته هنا وقد أمتلئت عيونه بالدموع وحاولت أن أتوقف لكني أكملت الاغنية، وعند نهاية تصويرها قلت له: ما هذا يا أستاذ، قال: إن في داخلي جروحا عدة لو اخرجت واحدة منها فسوف ترى عنوانها مرسوما على عيوني من اثر الدمع) (٣).

ومع كل هذه الاحزان حاول نجيب أن يتواصل مع فنه وحياته في آن واحد فتقدم للزواج من صديقته (فكتورين) كشريكة حياة بعد كل تلك الزيجات الفاشلة، يقول الدكتور أحمد سخسوخ: (وقبل أن يحدد موعد الزفاف سافر إلى الاسكندرية لإحياء خمسة ليال على مسرح الهمبرا إلا انه في اليوم الثاني أحس بارتفاع في درجة حرارته فعاد إلى شقته بعمارة الايموبليا بالقاهرة وكانت بجواره فيكتورين وبديع خيري وخادمته اليونانية كريستين والدكتور الدمرداش الذي يتولى علاجه ونقله للمستشفى لإشتباهه بالتيفوئيد، وهناك في المستشفى كان علاجه بعقار الاكرومايسين الذي أحضره من أميركا مكرم باشا عبيد لأجل الريحاني الذي كان أول مصري يتعاطاه فتسببت جرعة زائدة منه بسبب إهمال المرضة إلى وفاته في مثل هذه الايام من عام ١٩٤٩) (٤).

وهكذا هو حال العظماء حينما يودعوننا فإنهم يتركون لنا طبع أصابعهم منقوشة على حائط الذكريات مع وداعنا بكلمات.. لا تنسونا.. واذكرونا.

أفلامه السينمائية فتعد قليلة لكنها أصبحت من كلاسيكيات السينما العربية، وذات المضامين العالية والأحساس الشعبي الناقد، وقد أثبت فيها الريحاني جدارة فنية عالية إستطاع من خلالها أن يؤسس لما يعرف بالكوميديا السوداء، إضافة إلى خلق أعراف جديدة حاول الريحاني تطبيقها منها إلتزام ألممثل بالوقت وألحرص عليه

نجيب الريحاني والمسرحية الكوميدية

عاش الكوميدي الموهوب نجيب الريحاني في الفترة (١٨٨٩-١٩٤٩) الذي لقب بموليير الشرق . ولد إلياس نجيب الريحاني ونشأ في أسرة من الطبقة المتوسطة بحي باب الشعرية بالقاهرة ، لأب من أصل عراقي وأم مصرية . انجذب نجيب الريحاني نحو المسرح منذ الصغر على الرغم من عدم ثقته من موهبته وقد درس بمدرسة الفرير بالخرنفش واشترك في تمثيل نصوص من المسرح الفرنسي ،هجر الدراسة قبل حصوله على البكالوريا . التحق في عام ١٩٠٦ بالبنك الزراعي وهناك التقى بالفنان عزيز عيد والذي كان موظفا في نفس البنك حيث قامت بينهما الصداقة ، اشتركا في تمثيل أدوار صغيرة بعروض الفرق الفرنسية الزائرة وفي عام ١٩٠٧ انضم لفرقة عزيز عيد الفودفيلية التي كونها ولكنه لم يستمر بها وفصل من البنك لعدم انتظامه فى العمل . انضم بعدها إلى فرق كثيرة منها فرقة سليم عطا الله ،

علي مزاحم عباس

عين بشركة السكر بنجع حمادي عام ١٩١٠ لكنه فصل منها بسبب مغامرة عاطفية ، التحق بعدها بفرقة الشيخ أحمد الشامي وتجول معها بأقاليم مصر والتي أكسبته خبرة طيبة بالرغم من المعيشة القاسية في المأكل والمبيت . بعدها أعادته والدته إلى شركة السكر وفضل بعدها الإقامة في القاهرة ليكون قريبا من الأنشطة المسرحية . في عام ١٩١٤ التحق بفرقة جورج أبيض ولكن الأخير وجده لا يصلح للتمثيل فاستغنى عنه ورجع مرة أخرى إلى فرقة عزيز عيد في يونيو ١٩١٥ ولم يستمر طويلا .

كانت بداية الريحاني كصاحب مشروع فني في صيف ١٩١٦ عندما فكر في تقديم عمل من خلقه ، تأليفا وتمثيلا وإخراجا ، بطله شخصية واقعية الصلة بالواقع هي كشكش بك العمدة الريفي المتلاف عاشق النساء ، المحب للحياة ، الذي يفد للقاهرة ليغشى دور اللهو حيث ينفق أمواله على الحسان ويعود إلى قريته نادما تائبا . كان العرض الأول تعاليلي يابطة قدمها بكازينو آبيه دي روز في أول يوليو ١٩١٦ ، وتلتها بستة ريال ، بكره في المشمش ، خليك تقيل ، هز ياوز ، اديلو جامد ، بلاش أونطة ، كشكش بك في باريس ، أحلام كشكش بك... ، كانت أبرز الشخصيات كشكش التي مثلها الريحاني ، والحماة المزعجة أم شولح ، والخادم زغرب ، وكانت الفكاهة تعتمد على الهزل المحض من شخصيات مغلوطة ولهو خشن وسباب وسوء الفهم الناشئ عن إلتباس الألفاظ والحوار الذي يتضمن عبارات فرنسية .

قدم الريحاني أعمالا استعراضية عام ١٩١٧ ، لينافس علي الكسار الذي كان يقدم هذا اللون بفرقة الأوبريت الشرقي بكازينو دي بار ، فقدم أم أحمد ، أم بكير ، حماتك بتحبك ، حمار وحلاوة (استمر عرضها ثلاثة أشهر ١٩١٨) ، على كيفك ، التي سادها الغناء والإستعراض وافتقدت للصراع والأحداث المترابطة والكوميديا وتميزت بالمشاعر الوطنية وأغانيها الحماسية وفقدت أهميتها عقب إنتهاء الثورة عام ١٩١٩ . توجه الريحاني إلى لون ارقى واكمل كالأوبريت لتوفر عناصر الدراما من قصة وشخصيات وأحداث مترابطة ومساحة للكوميديا ، وكانت البداية العشرة الطيبة التي قدمها ١٩٢٠ اقتباس محمد تيمور وتلحين سيد درويش ، وكتب بالاشتراك مع بديع خيري خلال(١٩٢٣-١٩٢٤) اوبريتات الليالي الملاح ، البرنسيس ، الشاطر حسن ، أيام العز ، الفلوس ، مجلس الإنس ، لو كنت ملك ، واعتمدت معظمها على قصص (ألف ليلة وليلة) واسند البطولة النسائية إلى زوجته الراقصة بديعة مصابني . هذه المسرحيات شكلت خطوة متقدمة لمسرح الريحاني .

تراجع الريحاني في الفترة بين (١٩٢٦-١٩٣١) ، إذ حاول أن ينافس يوسف وهبي بتقديم مليودرامات وليؤكد على أنه قادر على أداء ألوان جادة غير الكوميدي ، فقدم مليودراما المتمردة عام ١٩٢٩ ثم موفانا ، ولكن الجمهور لم يتقبل الريحاني ، نجم الكوميديا فقدم هزليات غنائية استعراضية بطلها كشكش بك ، وكان الرقص والغناء أبرز العرض في مسرحيات ليلة جان ١٩٢٧ ، مملكة الحب ، الحظوظ ، يوم القيامة ، آه من النسوان ، ابقى اغمزني ١٩٢٨ ، ياسمينه ، نجمة الصبح ، اتبحبح ١٩٢٩ ، ليلة نغنغة ، مصر باريس نيويورك ، أموت في كده ، عباسية ١٩٣٠ .

في المرحلة القادمة تطور فن الريحاني ، لأن الصراع لا يدور بين كشكش بك وحماته أم شولح بل بينه وبين أبناء الطبقة المتوسطة في المدينة ، كما تمتزج حيل الفارس بالسخرية اللاذعة والنقد في محاولة الخروج عن الهزل المحض ، واتخذ خطوات للإقلال من حجم الغناء والاستعراض ، واتى بشخصيات متنوعة من صميم المجتمع ، اصبحت فيما بعد شخصيات أساسية في مرحلة النضج الفني ١٩٣٢ -١٩٤٩ مثل الإنسان الصغير الشريف ، الخادمة النشطة الشريفة ، الحماة المزعجة .

كانت مسرحية الجنيه المصري نقطة تحول في حياة الريحاني اشترك فيها مع بديع عن نص توباز للكاتب الفرنسي مارسيل بانيول ، وهي كوميديا اجتماعية مثلتها فرقة الريحاني على مسرح الكورسال عام ١٩٣١ ، تكلمت عن تأثير المال على الفرد والجماعات وكيف يفسد الضمائر وينتهك الأخلاق والمبادئ ، وقد مثلت الجنيه المصري بعد ذلك بنجاح تحت اسم الدنيا بتلف ، ثم السكرتير الفني ، ولكن الجمهور لم يتذوق هذه الكوميديا الساخرة عام١٩٣١ ، إلا أن الريحاني عاود التجربة عام ١٩٣٥ بتقديم مسرحيات اجتماعية ناجحة ، التي شكلت مرحلة النضج الفني التي استمرت حتى وفاته .

في معظم مسرحيات تلك الفترة ظهر الريحاني كإنسان شريف نزيه متمسك بالقيم ، على درجة من الدهاء والثقافة ، ولكنه يائس مفلس وسيئ الحظ ، مؤمن بالقدر ، خفيف الظل ومتهكم ، ساخر من أوجه الزيف والفساد والمظهرية الجوفاء في المجتمع .ثم تدخل القدر وهبطت عليه ثروة ترفع من قدره ومكانته بفضل المسرحية "الدنيا لما تضحك" ١٩٣٤ ، و" بندق أبو غزالة" الذي يسخر من قيادات الدولة المتخلفة في حكم قراقوش ١٩٣٦ ، ثم تحسين المدرس البائس في مسرحية قسمتي ١٩٣٦ ، " شحاتة " الكاتب الداهية في إدارة الوقف في " لو كنت حليوة " ١٩٣٨ ، أنور الموظف الصغير في مواجهة فتاة ثرية رعناء أفسدها التدليل في " الدلوعة " ١٩٣٩ ، ثم في دور " سليمان " المحامي المفلس الباحث عن كنز في قصر تتحكم في شؤونه عجوز تركية تعيش في الماضي و ذلك في " إلا خمسة" ١٩٤٣ ، في عام ١٩٤٥ مثل دور " عباس " في " حسن ومرقص وكوهين" .

في هذه المرحلة كثف الريحاني الخط الكوميدي الإنتقادي وأخذ ينهل من صيغ الكوميديا متعددة المستويات ابتداء من الكوميديا الراقية إلى الفارس والكوميديا الشعبية ، إلا أنه خفف قدر استطاعته من أساليب الهزل والهذر التي لا تخدم غايته وكانت سائدة في مراحل سابقة .

قدم نجيب الريحاني في الكوميديا ٣٣ مسرحية من أهمها:

مسرحية الجنيه المصري عام ١٩٣١.
الدنيا لما تضحك عام ١٩٣٤.
الستات مايعرفوش يكدبوا.
حكم قراقوش عام ١٩٣٦.
قسمتي عام ١٩٣٦.
لو كنت حليوة عام ١٩٣٨.
الدلوعة عام ١٩٣٩.
استني بختك.
حكاية كل يوم.
الرجالة مايعرفوش يكدبوا.
الدنيا بتلف.
إلا خمسة عام ١٩٤٣.
حسن ومرقص وكوهين عام ١٩٤٥.
تعاليلي يا بطة.
بكره في المشمش.
كشكش بك في باريس.
وصية كشكش بك.
خللى بالك من إبليس عام ١٩١٦.
ريا وسكينة عام ١٩٢١.
ضربة مقرعة.
الابن الخارق للطبيعة.
ليلة الزفاف.
عندك حاجة تبلغ عنها.
شارلمان الأول.
خللى بالك من إميلى.
كشكش بيه وشيخ الغفر
زعرب.

كانت بداية الريحاني كصاحب مشروع فني في صيف ١٩١٦ عندما فكر في تقديم عمل من خلقه ، تأليفا وتمثيلا وإخراجا ، بطله شخصية وثيقة الصلة بالواقع هي كشكش بك العمدة الريفي المتلاف عاشق النساء ، المحب للحياة ، الذي يفد للقاهرة ليغشى دور اللهو حيث ينفق أمواله على الحسان ويعود إلى قريته نادما تائبا . كان العرض الأول تعاليلي يابطة قدمها بكازينو آبيه دي روز في أول يوليو ١٩١٦ ،

مذكرات "كشكش بيه" أو نجيب الريحاني (شارلي شابلن العرب) صدرت في القاهرة (عن المركز القومي للمسرح). في هذه اليوميات يتتبع الريحاني خطاه، منذ بداياته، وحتى قبيل وفاته

كيف انخرط في المسرح؟ كيف نجح؟ وكيف فشل؟ كيف تعرّف إلى بديعة مصابني وسيد درويش، وبديع خيري، ويوسف وهبي؟ كيف كانت أجواء الفن في بدايات القرن الماضي في القاهرة، وكيف كان الجمهور، والمسارح؟ يدوّن الريحاني كل ذلك بأسلوب بسيط أخّاذ، يتخلله كثير من السخرية، والفكاهة والألم... والفرح.

اخترنا، من هذه المذكرات نصوصاً تحيط بمجمل أجواء "زعيم المسرح الفكاهي".

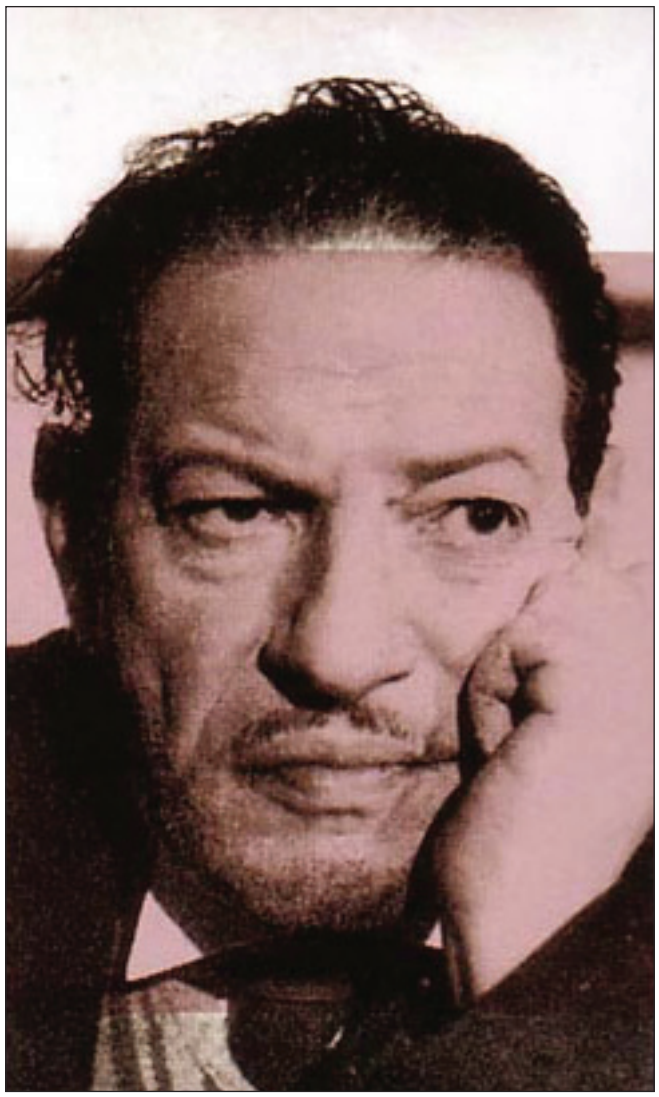

هكذا تكلم نجيب الريحاني

موظف وغاوي تمثيل!

في عام بدأت صلتي بالمسرح، فرغم أنني موظف في شركة السكر بنجع حمادي إلا أنني كنت صديقاً شخصياً لكبار الممثلين في ذلك العهد، وكنت أجد لذة كبيرة في زمالة هؤلاء الممثلين... ولو أنها كانت حتى ذلك الحين مجرد زمالة من غير تمثيل...!

وكنت كثيراً ما أمضي أوقات فراغي متنقلاً بين قهوة برنتانيا. التي كانت بمثابة ناد للفنانين العاطلين، وبين مسارح عماد الدين، وكان من أصدقائي في ذلك الزمان الغابر الخواجة سليم أبيض، شقيق جورج بك أبيض، والمرحوم عزيز عيد والزميل استفان روستي وغيرهم...

وكنت أنا بالنسبة لهؤلاء كالمليونير بالنسبة لفقراء الهند... فقد كنت موظفاً أنال مرتباً شهرياً وأنا أضع ساقي فوق الأخرى...

أما أغلبية الممثلين وقتذاك فكانوا يحصلون على مرتباتهم كل حين ومين.

أصبحت عاطلا

وقد صدق رأيي في نفسي إذ بعد أن حصلت على نقودي التي اقترضتها لفرقة أبيض وحجازي... نقودي التي دفعتها جنيهات وقبضتها ملاليم... صارحني جورج أبيض بك برأيه فيي... وهو أنني ممثل فاشل لا أصلح حتى للقيام بالأدوار البسيطة... وقررت الفرقة بناء على ذلك الاستغناء عن خدماتي وخرجت من المولد بلا حمص... مع أنني دخلته وفي جيبي جنيهاً!

وهكذا أصبحت خالي الوفاض من كل شيء... فلا عمل... ولا نقود تظمئنني على المستقبل... ولكن الحياة كانت حلوة وقتئذ... فكنت أشاطر زملائي الممثلين العاطلين جلستهم على قهوة برنتانيا... التي كان يملكها رجل يوناني يدعى بركلي... وكانت هي محلنا المختار الذي يتحملنا عند الشدائد... وكان صاحب القهوة رجلاً يحب التمثيل والممثلين... لله في لله... فكان يعطينا ما نطلب ولا يشكو من تضخم حساب "الشكك" أبداً...!

عودة إلى البطالة!

ولكن...

ولكن ما أصعب النجاح

لم يطل بنا الأمر في مسرح، "الاجبسيانا" حتى عدنا صفر الأيدي من جديد! وبعد أن كنا في "الطالع" أصبحنا في "النازل".

كان الجمهور قد مل مشاهدة رواياتنا التي كررناها مراراً وأعدنا تمثيلها تكراراً... أضف إلى هذا أن هذه الروايات لم تكن محلية لا قلباً ولا قالباً مما يستسيغ الجمهور أن يراه مرة فوق مرة... بل كانت كلها مسرحيات كوميدية مترجمة بالنص كما قلت... ولذلك بدأ الجمهور ينصرف عنا...

وبعد فترة وجيزة كان علينا أن نلقي السلاح...

وعدنا إلى قواعدنا قهوة الطيب الذكر "بركلي" ننعى العشرة جنيهات!

البورصة تصعد

وفي الفترة التي مرت بي عقب فشل مشروعنا... عادت بي الذاكرة إلى عهد الوظيفة... ورحت أتحسّر على الماضي... يوم أن كنت أقبض مرتباً ثابتاً وأنا أضع ساقي اليمنى على ساقي اليسرى...

وبدأت ألعن قلة عقلي التي جعلتني أستند على "حيطة مايله"... هي التمثيل...!

ومكثت شهوراً أتحسّر...

وفي يوم جاءني الزميل استفان روستي يعرض عليّ عملاً بمسرح "الأبيي دي روز"، فتنفست الصعداء...!

ميلاد كشكش بيه!

وذات يوم سألني روزاتي عن المشروع الذي اقترحته، فقلت له انني أريد تقديم اسكتشات تمثيلية استعراضية يدخل فيها التمثيل دون أن يخرج منها الرقص والموسيقى فمثلاً عمدة من الريف يزور القاهرة بعد أن يبيع محصول القطن ويملأ جيوبه بالذهب، فتسحره ملاهي القاهرة وفتيات المراقص وإذا به يخسر كل نقوده، ولا يجد أجرة القطار التي يعود بها إلى قريته.

وما إن سمع روزاتي بالفكرة حتى أعجب بها وحبّذ تنفيذها وهكذا بدأت شخصية كشكش بيه عمدة كفر البلاص ترى النور!

عصر ذهبي

كان نجاحي في هذا اللون، "الفرانكو آراب" يفوق حدود الوصف... خصوصاً في مسرح الابيي دي روز... الذي لا يرتاده إلا الطبقات العليا من الناس...

وبدأ الذهب يتدفق إلى جيوبي فارتفعت في الليلة إلى مائة وخمسين قرشاً ثم إلى جنيهين ثم إلى خمسة... وهكذا... وفي فترة قصيرة أصبحت كل شيء في مسرح الابيي دي روز.

كان روزاتي معجباً بي للنجاح الكبير الذي لقيته برامجنا... بينما كانت مدام روزاتي معجبة بي لأسباب أخرى.

وهكذا ضممت الفخر من أطرافه على رأي مهيار الديلمي...

حرب باردة

وبدأنا العمل في مسرح الرينسانس وفي النفس ما فيها من آثار التقاضي مع روزاتي، وانضم إلينا المرحوم أمين صدقي واستفان روستي، وعبد اللطيف المصري... كما انضم إلينا لأول مرة المرحوم عبد اللطيف جمجوم...

وفي أول رواية قدمناها، تعمدنا أن نثير غيظ روزاتي فأسميناها "ابقى قابلني" وكانت هذه الرواية فاتحة عهد جديد في فن "التريقة" و"التأويز" على المنافسين أو بعبارة أخرى كانت إلى حد كبير طريقة روسيا وأميركا في حربهما الباردة!

وقد انتشرت هذه التقليعة تقليعة الحرب الباردة في ذلك الحين انتشاراً واسعاً... فكانت الفرق المتنافسة تختار أسماء رواياتها بحيث تثير أعصاب الفرق الأخرى المنافسة لها، أو ترد بها على اسم رواية يثير أعصابها هي!

ولأول مرة في تاريخ المسرح المصري يستغرق عرض إحدى الروايات شهراً بأكمله. فقد نجحت رواية "إبقى قابلني" نجاحاً منقطع النظير، ولم يفتر إقبال الجمهور علينا خلال الشهر كله الذي واصلنا فيه تمثيلها ولم ينقص إيراد شباك التذاكر في أحد الأيام طوال ذلك الشهر، وبدأت "النغنغة" تعرف طريقها إلى نفوسنا.

"كشكش بيه" في باريس

وفي نهاية الشهر أخرجنا رواية (كش كش بيه في باريس) فدقت هذه الرواية آخر مسمار في نعش المرحوم "الابيي دي روز" إذ لاقت من النجاح ما لم تلاقه حتى رواية "إبقى قابلني"!

ثم أخرجنا بعدها رواية "وصية كش كش بيه".

ولم يكن نصيبها من النجاح بأقل من نصيب سابقاتها من الروايات التي قدمناها...

وفي شهر مايو عام كانت مدة العقد الذي استأجر به الخواجة ديمو مسرح الرينسانس قد انتهت، ولم يشأ ديمو أن يجدده، بل فضل أن نشتغل على مسرح جديد يكون ملكاً له، وفاتحني في ذلك، فوافقته على وجهة نظره، لأن قيمة الايجار الذي كان يدفعه للرينسانس مرتفعة جداً... وإذا دخلت هذه القيمة جيوبنا، فسيزيد الخير خيرين!

كيف عرفت بديع خيري

كان لي صديق اسمه جورج شفتشي، كان زميلاً لي أيام كنت موظفاً في البنك الزراعي... وكان هذا الصديق يتردد عليّ كثيراً...

وذات يوم عرض عليّ جورج شفتشي رواية عنوانها "على كيفك" وأعجبتني الرواية... ولم يخب ظني فيها عندما قدمناها... إذ نالت نجاحاً جعلتني أبحث عن مؤلفها... أما لماذا أبحث عن مؤلفها فلأنني كنت أعرف أن صديقي جورج شفتشي لا يستطيع أن يؤلف الروايات بهذه السهولة... فطفت "أشمشم" حتى عرفت أنه فعلاً لم يكن مؤلف الرواية... وإنما مؤلفها مدرّس اسمه بديع خيري.

منافس يظهر

وكانت فرقة الكسار قد لاقت المتاعب لنجاح فرقتنا التي كانت تجاورها وأراد الكسار أن ينافسنا، فاستأجر قطعة الأرض التي تجاورنا وبنى عليها مسرحاً يشبه مسرحنا... بسقفه القماش وسمّاه "مسرح الماجستيك" وهو مكان سينما الماجستيك الآن بشارع عماد الدين. ثم استقل الكسار بالفرقة هو والمرحوم أمين صدقي، بعد أن أخرجا منها مصطفى أمين...

سيد درويش

وفي هذه الأثناء انضم إلينا المرحوم سيد درويش فأخرجنا رواية "ولو" التي ألفها الأستاذ بديع خيري ووضع ألحانها سيد درويش...

وكانت "ولو" هذه رداً على انتقال الكسار على مسرح الماجستيك ومحاولة تقليد مسرحنا... جرياً على سياسة الحرب الباردة...!

وأرادت فرقة الكسار أن ترد إلينا التحية فأخرجت رواية "راحت عليك" فأسرعنا بتقديم رواية لبديع خيري بعنوان "رن". وأخذنا نتبادل حرب الأعصاب في الوقت الذي كانت فيه المنافسة قد اشتدت وزادت حرارة...

سيد درويش يظهر

وحطت فرقة جورج أبيض رحالها في مدينة الاسكندرية، ولعبت الصدفة مرة أخرى دورها.

كان الشيخ سيد درويش يعمل مغنياً في مقهى صغير بحي كوم الدكة (مسقط رأسه) وكانت له صلات ببعض الممثلين، فلما وصلت فرقة جورج بك إلى الاسكندرية، ذهب سيد درويش إليها ليزور بعض أصدقائه من ممثليها، وفي فترة الاستراحة سمع حامد مرسي

وكنت كثيراً ما أمضي أوقات فراغي متنقلاً بين قهوة برنتانيا. التي كانت بمثابة ناد للفنانين العاطلين، وبين مسارح عماد الدين، وكان من أصدقائي في ذلك الزمان الغابر الخواجة سليم أبيض، شقيق جورج بك أبيض، والمرحوم عزيز عيد والزميل استفان روستي وغيرهم.

فأعجب بصوته، وطلب إليه أن يقابله بعد انتهاء عمله...
ولما تقابلا عرض الشيخ سيد على حامد أن يغني مقطوعة لحنها له خصيصاً وهي "زوروني في السنة مرة".
ونالت الأغنية نجاحاً كبيراً وكانت فرقة جورج أبيض في حاجة إلى ملحن، فعرضت على الشيخ سيد أن ينضم إليها...
وعادت الفرقة إلى القاهرة وفي "خرجها" صبيان أحدهما المطرب حامد مرسي والثاني الملحن سيد درويش!

كيف عرفت سيد درويش؟

في ذلك الوقت كنا نقوم بتمثيل روايات فكاهية استعراضية على مسرح الاجبسيانة كما أسلفت، وقد كان نجاح فرقتنا في هذا اللون المسرحي مشجعاً لكثير من الفرق المحترمة وغير المحترمة على منافستنا فيه، فأردت أن أضرب عصفورين بحجر واحد والعصفور الأول هو التجديد، والعصفور الثاني هو استغلال نجاح سيد درويش كملحن...
وكانت الألحان المتناثرة التي تصل إلى أذني ممن شاهدوا "فيروزشاه" سبباً في توجيه فكري إلى سيد درويش.
ففي يوم استدعيت أحد أفراد الفرقة ممن يقومون بدور "الكورس" أي "البطانة" وطلبت إليه أن يسمعني ألحان "فيروزشاه" فأسمعني لحناً يقول مطلعه:
أنا لقيت روحي في بستان كان وقتها الفجر يلالي
وكنت أشوف بين الأغصان نور القمر يحكي خيالي
وأذهلتني روعة اللحن، وحدست أن ملحنه (سيد درويش) سوف تطغى شهرته على غيره من الملحنين بسرعة ومن هنا صممت على أن تحصل فرقتنا على سيد درويش!
وأسررت بالأمر في أذن صديقي الأستاذ بديع خيري وطلبت إليه أن يحاول الاتفاق مع سيد درويش للعمل معنا.
وذهب بديع إلى مسرح الرينسانس ليرى بعينيه نجاح فيروزشاه، وليستمع بنفسه إلى ألحانها تمهيداً لمحادثة الشيخ سيد.

"العشرة الطيبة"

عندما نجحت رواية "ولو" أغرانا النجاح باستغلال النوع الغنائي الكامل "الأوبريت" فاستأجرنا مسرح كازينو دي باري الذي كان مغلقاً في ذلك الحين وهو الذي تقع مكانه سينما ستوديو مصر الآن، لكي نخصصه لهذا النوع من الروايات، بينما نواصل عملنا في نفس الوقت على مسرح الاجبسيانة الذي يجاوره. في النوع الاستعراضي.
وكانت أول أوبريت قدمناها هي "العشرة الطيبة" التي ألفها الأستاذ بديع خيري ووضع ألحانها الشيخ سيد درويش.

فشل

ولكن مشروع الأوبريت لاقى الفشل الذريع، على الرغم من النفقات الباهظة التي كلفنا إياها استئجار المسرح وإخراج "العشرة الطيبة" إذ ثارت حولها الاشاعات تقول انها رواية تخدم أغراض الانكليز وتوضح الفرق بين استعمار الولاة الأتراك لمصر وبين استعمار الانكليز لها، وبهذا لم يقبل الناس على الرواية وماتت في عمر الزهور!
وكان هذا سبباً في انصرافنا عن هذا اللون الذي لا يأتي من ورائه إلا وجع الدماغ، مضافاً إليه ما تتكبده فيه من مصاريف الايجار، وإخراج الروايات الغنائية الذي يحتاج للاسراف في النفقات، إلى جانب ما كان يتناوله سيد درويش من أجر كبير، إذ وصل أجره في ذلك الحين إلى ثلاثمئة جنيه في الشهر الواحد مئة وخمسين عن تلحين الروايات الاستعراضية، ومثلها لتلحين الأوبريت!

سيد درويش يتركنا

وكان سيد درويش. رحمه الله. قد رأى أن ينفصل عنا ليكوّن فرقة أخرى والتأم شمل عزيز عيد وعمر وصفي وسيد درويش. يرحمهم الله. فكوّنوا فرقة في ما بينهم لكل منهم نصيب الثلث فيها. ثم قدّموا أوبريت "شهرزاد" على مسرح برنتانيا القديم بشارع ألفي بك ولكن الأوبريت لم تلاق نجاحاً يذكر فانتقلت فرقة الفرسان الثلاثة إلى مسرح دار التمثيل العربي، حيث قدموا أوبريت أخرى هي "البروكة" ولكن حظها لم يكن أسعد من حظ "شهرزاد" فسقطت هي الأخرى.
انتهيت الآن من شرح تاريخ صداقتي بالمرحوم سيد درويش ولما كان الشيء بالشيء يذكر فسأروي صلاتي ببعض نوابغ الممثلين... سواء الذين عملوا معي، أو الذين لم يسعدني الحظ بالعمل معهم في الزمان الغابر.
إنها وقفة من الخاطر... دعتني إليها شجون الماضي المليء بحوادثه وصوره... بفقره وغناه...!

عبد الوهاب المطرب الصغير

والمطرب الصغير. باعتبار ما كان. هو الآن مطرب كبير جداً... وموسيقار عظيم وهو الصديق العزيز محمد عبد الوهاب...!
كيف رأيته للمرة الأولى؟
كانت قصة مقابلتي لمحمد عبد الوهاب تشبه من بعض وجوهها قصة مقابلتي ليوسف بك وهبي... فقد جاء به إليّ أحد الأصدقاء، وأفهمني أنه مطرب يمتاز بصوت جميل وموهبة موسيقية نادرة... ورجاني في أن أجد له مكاناً في فرقتي إذ يغني بين الفصول...
ولكن قناعتي بما وصلت إليه الفرقة في ذلك الوقت من نجاح في حدود ما تملكه من كفاءات جعلني لا أقيم وزناً لشيء آخر... وبناء عليه اعتذرت للصديق بضيق ذات الأمكنة...
وكانت براعم عبد الوهاب قد بدأت تتفتح عن مواهب عظيمة... فما إن مرت ثلاث سنوات حتى رأيته يتولى دور "أنطونيو" أمام منيرة المهدية في رواية "كليوبترا".

سارة برنار

أطلق عليها النقاد في فترة ما لقب سارة برنار الشرق، فقد وصلت في تمثيل دور النسر الصغير إلى قمة المجد في ذلك الزمان... ولأن دور النسر الصغير كان من الأدوار الخالدة للممثلة العالمية سارة برنار... فقد أطلقوا عليها لقبها...
وكانت فاطمة رشدي عندما خطت خطوتها الأولى في حياتها المسرحية تعمل بفرقتي... مع مجموعة الفتيات اللائي يغنين الألحان "كورس".
وكان من الطبيعي أن تظل فاطمة الفتاة الصغيرة الحلوة التقاطيع في صفوف الكورس لولا أنها كانت تضم جوانحها على موهبة كبيرة...
ولما توسمت فيها النبوغ إلى جانب قوة صوتها وحلاوته أخذت أعهد إليها بإلقاء بعض الأغاني والمونولوجات الخفيفة في فترات الاستراحة.
ولم يطل بها الوقت حتى التقت بالمرحوم عزيز عيد... الذي صعد بها إلى ما كانت تصبو إليه من نجاح...!

مغنية من الشام

وقفت بالقرّاء في الفصل الأول من ذكرياتي عندما بدأنا تمثيل رواية "قيراط" والنجاح الكبير الذي صادفته هذه الرواية، وفي زهاء الساعة العاشرة مساء من إحدى الليالي التي كنا نقدم فيها هذه الرواية سمعت طرقاً ناعماً على باب غرفتي... ثم دخلت فتاة حسناء تنطق كل أجزاء جسمها ووجهها بالجمال الصافي والأنوثة المتدفقة... قالت لي أنها شامية وأنها تريد العمل معي...
طلبت إليها أن تسمعني صوتها فغنت لي أغنية سورية أثرت فيّ تأثيراً قوياً فتنبأت لها في الحال بمستقبل زاهر في عالم الغناء... وفي الحال حررت معها أن تبدأ عملها في اليوم التالي مباشرة.
وكم كانت دهشتي بالغة عندما علمت في اليوم التالي أن الفتاة المذكورة واسمها "بديعة مصابني" قد اختفت ولا أثر لها في القاهرة فأسدلت ستاراً على قصة هذه الفتاة... وتناسيتها!

شركة ترقية التمثيل العربي

وبعد أيام قامت ضجة كبيرة في الوسط الفني حول شركة جديدة تسمى شركة ترقية التمثيل العربي أسسها طلعت حرب باشا وعدد كبير من الماليين...
وبدأت الشركة عملها فكوّنت فرقة تمثيلية على رأسها العكاشيون الثلاثة "عبد الله وزكي وعبد الحميد" وبدأت الشركة باكورة انتاجها فسخّرت كبار المؤلفين والكتّاب والممثلين والملحنين... كما قامت بحملة دعاية واسعة النطاق ولكي أكون صريحاً معكم كما هي عادتي دائماً أقول أثرت علينا تأثيراً كبيراً فبدأت أسهمنا في الهبوط والتدهور كما هبطت روحي المعنوية، فبرمت بالعمل وضقت ذرعاً بالتمثيل حتى إني كدت أشعر مرة أخرى أنني ارتكبت خطأً كبيراً باحترافي التمثيل...!

أخوات رشدي

جاءني أحد موظفي المسرح ليخبرني بأن فتاتين وطفلة يردن مقابلتي، ولما طلبت إليه أن يدخلهن رأيت أمامي فتاتين ناضجتين تمسكان بيدهما طفلة في الحادية عشرة من عمرها، وبعد تقديم التحيات وفروض الولاء والطاعة وعبارات الاعجاب أعلنّ أنه يشرفهن أن يعملن معي في المسرح... سألت كبراهن عن اسمها فقالت إنها رتيبة رشدي، ثم أشارت إليّ شقيقتها الأخرى قائلة إنها انصاف، ثم قالت، أما هذه الطفلة فتسمى فاطمة...! لم أرَ مانعاً من قبولهن في الفرقة... فأجبت طلبهن...

جولة بين الأقطار الشقيقة

وبينما كانت موجات الخمود والاضطراب، بل واليأس، تتجاذبني يميناً وشمالاً... جاءني الحاج مصطفى حفني مدير تياترو برنتانيا في ذلك الوقت وعرض عليّ أن يشاركني في جولة نقوم بها بين الأقطار الشقيقة... فلم أر مانعاً من القيام بهذه الجولة... لعلها تزيل عني جانباً من الهموم التي كانت تثقل كاهلي في ذلك الوقت...
وقبل أن أنتقل بكم إلى سوريا ولبنان أقول ان الأقدار أبت إلا أن تتكاتف عليّ "عكنتني" فحدث خلاف بيني وبين صديقتي لوسي. وقد سبق أن تحدثت عنها. فافترقنا. فانتقلت حالتي من سيئ إلى أسوأ لأن لوسي كانت عضدي الأيمن التي تشد من أزري لنجتاز المصاعب التي كانت تصدمنا من وقت لآخر كما كنت أشعر في قرارة نفسي بأن هذا النجاح الذي صادفته إنما كان يرجع إلى عزيمة لوسي القوية حتى إنني كدت أوقن أنني سأفقد كل شيء بفقد لوسي...
انتقلنا إلى لبنان وأنا أطمع في أن تتحسن روحي المعنوية وحالتي المادية.
فإذا بي أصدم صدمة كادت تفقدني صوابي... كان الاقبال على روايتنا قليلاً جداً... فرحت أبحث عن السبب فإذا هو يتلخص في أن حضرة الزميل اللبناني أمين عطا الله. جزاه الله خيراً. وقد كان يعمل معي في فرقتي بالقاهرة منذ وقت غير قصير قد سرق رواياتي وألحاني وراح يقدمها للشعبين اللبناني والسوري... ولم يقف عند هذا الحد... بل وصلت به الجرأة إلى أن يسرق شخصية كشكش بيه...
وكان يضم الكاف في كلمة "كشكش" عندما يمثل للبنانيين... ويفتحها أي ينصبها عندما يمثل للسوريين...!
والذي زاد الطين بلة أن الأستاذ أمين عطا الله كان يعرف عادات وطباع السوريين واللبنانيين أكثر مني بوصفه واحداً منهم فكان يتفنن في اجتذابهم إليه بأن يقدم لهم (الكوميدي المفتعل) الذي يدور حول المرمطة في الأرض والإتيان بحركات بهلوانية كلها تكلّف وتصنّع... ولكنها للأسف كانت تعجب اللبنانيين والسوريين أكثر من أي نوع آخر من التمثيل... ولما كنت لم أجرب بعد هذا النوع من "البهدلة" فقد فشلت أمام أمين عطا الله.
وبناءً عليه صار أمين عطا الله هو الأصل... أما أنا فقد أصبحت كشكش بك تقليد... وقد سمعت بنفسي إحدى اللبنانيات الفاضلات تحدث إحدى زميلاتها مشيرة إليّ "هايدى مانه كشكش... هايدى تقليد".

عودة بديعة

كنت منهمكاً في تمثيل دوري على المسرح عندما شاهدت سيدة في أحد الألواج القريبة مني تصفق لي بحرارة وحماسة... قلما شاهدت مثله من زميلاتها اللبنانيات...
سألت نفسي: ما السر في كل هذه الحماسة والتصفيق... ولكن السؤال لم يجد جواباً إلا عندما أسدل الستار عن الفصل...
وجاءت إليّ السيدة تقول:
. ألا تتذكرني...؟ أنا بديعة مصابني... التي حررت معها عقداً للعمل معك في مصر... ولكني اضطررت للعودة إلى لبنان لأمور مستعجلة...!
تذكرتها... حررت عقداً آخر على أن تعمل معي في لبنان بمرتب شهري قدره أربعون جنيهاً وفي لبنان علمت أن بديعة تدير صالة... وأنها راقصة ممتازة... وأن لها معجبين كثيرين

في ذلك الوقت كنا نقوم بتمثيل روايات فكاهية استعراضية على مسرح الاجبسيانة كما أسلفت، وقد كان نجاح فرقتنا في هذا اللون المسرحي مشجعاً لكثير من الفرق المحترمة وغير المحترمة على منافستنا فيه، فأردت أن أضرب عصفورين بحجر واحد والعصفور الأول هو التجديد، والعصفور الثاني هو استغلال نجاح سيد درويش كملحن.

نجيب الريحاني والكوميديا

هو الضاحك الباكي .. هو الثائر الساخر .. هو الكوميديا السياسي وهو الفيلسوف .. هو سي نجيب الريحاني .. امام كوميديانات القرن العشرين .. وعمدة كوميديانات الشرق الاوسط .. وقائد كتيبة المضحكين .. والمتأمل في مسرحيات وافلام نجيب الريحاني يجد انها تحمل بين ثناياها بعض الافكار السياسية .. والتي لاتخلو من الكوميديا الصارخة .. عملا بمبدأ .. شر البلية ما يضحك .. من هذا المنطلق .. منطلق هذه الحكمة .. بدأ مسرح الريحاني .. واستمر اكثر من نصف قرن .. بل سار على دربه باقي المضحكين في النصف الثاني من القرن .. رغم التطور المذهل الذي طرأ على الفكر الاجتماعي .. والثقافات المستوردة او النظريات التي فلسفت كل شيء حولنا في الوطن العربي.

فلم يكن احد يتصور ان يتخيل ان الطفل الذي ولد في عام ١٨٩١ ميلادية من ام مصرية واب عراقي وسمي نجيب وعاش في حي الظاهر بالقاهرة وبدت عليه ظاهرة الانطوائية ابان دراسته بمدرسة الغرير الابتدائية .. وهي مدرسة لغتها الرسمية الفرنسية مما اتاح له فهم هذه اللغة وتطويعها لعقليته الصغيرة .. انه سيكون ذا شأن في مضمار الفن المسرحي .. وعندما اكمل تعليمه ظهرت عليه بعض الملامح الساخرة .. ولكنه كان يسخر بخجل ايضا .. وعندما نال شهادة البكالوريا .. كان والده قد تدهورت تجارته فاكتفى بهذه الشهادة .. وبحث عن عمل يساعد به اسرته .. فقد كان مولعا بامه اشد الولع .. وتعلم منها الكثير .. فقد كانت هي الاخرى ساخرة مماتشاهده ابان تلك الفترة التي كانت تعج بالمتناقضات الاجتماعية .. وقد تفتحت عينا نجيب الريحاني على احداث عظيمة كانت تمر بها مصر. ففي عام ١٩٠٥ شهد حادثة دنشواي التي كانت سببا في احداث تغيرات كبيرة في نفوس المصريين واسفرت هذه الحادثة عن مولد الزعيم المصري مصطفى كامل .. واعقبه محمد فريد .. والتهبت المشاعر المتأججة في نفوس شباب هذا الجيل وكان نجيب الريحاني ضمن شباب هذا الجيل .. وقامت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ .. وافرزت هذه الحرب بعض المستفيدين منها والذي اطلق عليهم بعد ذلك اغنياء الحرب .. ليس في مصر وحدها ولكن على امتداد شمال افريقيا وايضا الشرق الادنى .. كل ذلك اختزنه نجيب الريحاني بعين راصدة لكل المتغيرات التي طرأت على المجتمعات العربية عامة .. والمجتمع المصري خاصة.

وكان نجيب الريحاني قد التحق بوظيفة كاتب حسابات بشركة السكر بنجع حمادي بالصعيد .. وهذه الشركة كانت ملكا خالصا للاقتصادي المصري «عبود باشا» الذي انشأ عدة شركات تعمل في كل المجالات .. على غرار شركات مصر التي انشأها زعيم الاقتصاد المصري في ذاك الوقت طلعت حرب .. ولكن هذه الوظيفة البسيطة والتي كان نجيب الريحاني يتقاضى منها راتبا شهريا ستة جنيهات .. وهو مبلغ لا بأس به في ذاك الوقت .. لم تشبع رغبته فاستقال منها وعاد الى القاهرة ليجد ان الامور قد تبدلت واصبح الحصول على عمل في حكم المستحيل .. واصبحت لغته الفرنسية التي يجيدها غير مطلوبة واصبحت لغة ثانية بعد ان استتب الامر للانجليز وسيطروا على كل مقدرات مصر .. وفي يوم قادته قدماه الى شارع عماد الدين الذي كان يعج آنذاك بالملاهي الليلية .. وتقابل مع صديق له كان يعشق التمثيل واسمه محمد سعيد وعرض عليه ان يكونا سويا فرقه مسرحية لتقديم الاسكتشات الخفيفة لجماهير الملاهي الليلية.

وبما ان نجيب الريحاني كان في امس الحاجة لاي عمل .. فقد راقته الفكرة .. وفعلا بدأ يقدمان بعض الاسكتشات الضاحكة لمرتادي الملاهي من عرب ومصريين وايضا للانجليز .. ولكن هذه الاسكتشات لم تشبع نجيب الريحاني .. فعرض على محمد سعيد ان تكون هناك فرقة مسرحية على غرار فرقة جورج ابيض . .وفعلا تم لهما ذلك .. وبدأ يبحثان عن نص مسرحي .. وكانت اخبار .ريا وسكنية .في هذا الوقت تملأ الصحف بعد ان تم القبض عليهما .. فاقترح محمد سعيد على نجيب الريحاني ان يكتبا بنفسيهما مسرحية عن هاتين السفاحتين .. وراقت الفكرة لنجيب الريحاني وفعلا بدأ في الكتابة .. وبعد ان اصبح النص المسرحي جاهزا .. بحثا عن مخرج وباقي افراد الفرقة .. وتصادف ان التقيا بالمخرج الكبير .. عزيز عيد وعرضا عليه النص المسرحي واجرى عليه بعض التعديلات .. ولكن هناك عقبة وهي ايجاد ممثلتين تؤديان دوري ريا وسكينة .. وعثرا سويا على فتاتين لا مانع لديهما من التمثيل .. فقد كانت اي فتاة تعمل في التمثيل في ذاك الوقت كأنها ارتدت عن ديانتها وخرجت عن التقاليد والاعراف الاجتماعية ..

كان نجيب الريحاني قد التحق بوظيفة كاتب حسابات بشركة السكر بنجع حمادي بالصعيد .. وهذه الشركة كانت ملكا خالصا للاقتصادي المصري «عبود باشا» الذي انشأ عدة شركات تعمل في كل المجالات .. على غرار شركات مصر التي انشأها زعيم الاقتصاد المصري في ذاك الوقت طلعت حرب .. ولكن هذه الوظيفة البسيطة والتي كان نجيب الريحاني يتقاضى منها راتبا شهريا ستة جنيهات .

ليس هذا بالنسبة للفتيات فقط .. ولكن بالنسبة للشبان والرجال ايضا .. حيث كان الممثل او الممثلة لا تؤخذ بشهادته في المحاكم او المقار الرسمية وكان يطلق عليه لقب «مشخصاتي».

وفعلا تم تجهيز المسرحية واجرى عليها التدريبات ولعب نجيب الريحاني دور حسب الله .. وعرضت المسرحية .. وعندما ظهر على المسرح نجيب الريحاني وقال اول جملة سمع ضحكات الجمهور بصورة صارخة لم يكن يتوقعها .. فالمسرحية من النوع التراجيدي المأساوي . وكلما تكلم .. يضحك الجمهور حتى افسد المسرحية تماما .. وبعد اسدال الستارة .. قال نجيب الريحاني قولته المشهورة آنذاك سأبكيكم من الضحك ان شاء الله .. وانفصل عن محمد سعيد بعد ذلك واختلى بنفسه طويلا .. حتى هداه تفكيره الساخر لشخصية كشكش بيه وغني الحرب القروي الذي ترك القرية بعد أن باع القطن وجاء الى القاهرة لتبهره انوارها .

واستمر يقدم هذه الشخصية سنوات عدة .. وربح مالا كثيرا .. حتى التقى بتوأمه الفني «بديع خيري» الذي كان يجيد الفرنسية ايضا وكانا يقضيان وقتهما على مقهى ماجستيك او المقهى التجاري وارتبطا سويا بصداقة متينة تولد عنها افكار جديدة .. ونجيب الريحاني مصر على ان يبكي الجمهور من الضحك .. ليس عليه .. ولكن على الجمهور نفسه.

وبدأ الاثنان يبحثان عن ماذا يقدمان للجمهور حتى يبكيانه من الضحك . وتفتق ذهن بديع خيري على المسرح الفرنسي وخاصة مسرحيات موليير الساخرة .. فاقتبس من مسرحياته مسرحية طرطوف واسماها «الشيخ متلوف» وكونا سويا فرقة مسرحية تحت اسم «مسرح الريحاني» واتخذا مقرا لها بشارع عماد الدين .. وكان ضمن افراد فرقته حسن فايق وحسين رياض واستيفان روستي الذي تولى الاخراج بعد ذلك ومحمد كمال المصري، شرفنطح «وماري منيب» وسراج منير

عشق نجيب الريحاني ان يقدم على المسرح مواقف سوء التفاهم فقد كان يجيد صنع الموقف الذي يفجر الضحك .. كما جاء في فيلم غزل البنات .. عندما ظن ان الشماشرجي الذي جاء ليقدم له القهوة هو الباشا .. ثم ظن المسؤول عن الكلب هو الباشا .. ثم ظن الباشا هو البستاني . وهذا الموقف كفيل بتفجير الضحك من القلب.

الذي اخرج له ثلاث مسرحيات .. ومحمد الديب .. والمنولوجست سيد سليمان وعهد الى طلعت حسن ادارة الفرقة .. وجلب بعض الفنانين والفنانات للفرقة ... ثم انضمت الى الفرقة الفنانتان ميمي شكيب زوجة سراج منير وشقيقتها زوزو شكيب ثم الفنانة جمالات زايد التي تزوجها الفنان محمد الديب بعد ذلك.

وتوالت اعمال الريحاني المسرحية .. فقدم المسرحية ثم الاوبريت بعد ان ذاع صيت الخالد الذكر سيد درويش .. وظهر امامه منافسا خطيرا ولكنه تلقائي هو الفنان علي الكسار .. وفي نفس الخط الكوميدي فقدم علي الكسار مسرحية بعنوان «اش» فرد عليه نجيب الريحاني بمسرحية اسمها «ولو» وفي نفس الوقت ظهر مسرح يوسف وهبي، مسرح رمسيس الذي كان يقدم التراجيديات والمأساة ... وكاد يسحب البساط من تحت اقدام الريحاني وتنبه الريحاني لذلك ..

فقدم مسرحا كوميديا اجتماعيا جادا .. واستقام الامر لنجيب الريحاني .. حيث كان يحس نبض الشارع المصري ويعرف كيف يجذبه الى مسرحه .. فقدم مسرحية الدنيا لما تضحك .. على غرار شخصية كشكش بيه وكان نجيب الريحاني قد ارتبط عاطفيا بالفنانة التي اذهلت الملايين من رواد ملهاها، وهي الفنانة بديعة مصابني .. وتزوجها وانجب منها بنتا .. وكانت بديعة مصابني هي نقطة ضعف نجيب الريحاني .. فقد كان يغار عليها وهي تغار منه ومن نجاحه المستمر وشتان بين غيرة نجيب وغيرة بديعة .. وحولت حياته الى جحيم .. حيث كان نجمه في الصعود الدائم وهي في الهبوط الدائم .. مما استحال العيش معها .. فطلقها على مضض لكي ينجو بنفسه منها ومن غيرتها التي كادت تدمر حياته.

وقدم الريحاني مع بديع خيري ثلاثا وثلاثين مسرحية اهمها .. مسرحيات الجنيه المصري، الدنيا لما تضحك، الستات مايعرفوش يكذبوا ، حكم قراقوش، الدلوع، قمستي، استني بختك، حكاية كل يوم (لعبة الست)، الرجاله ما يعرفوش يكذبوا، ولو، اوبريت العشرة الطيبة، الدنيا بتلف، وفي النهاية مسرحية الا خمسة، وهذه المسرحية الاخيرة كانت فعلا الاخيرة في حياة نجيب الريحاني .. وحياة من قدمها بعده، الفنان عادل خيري، حيث قدمها نجيب الريحاني خمسة ايام فقط ثم فارق الحياة بعد ذلك، وايضا قدمها الفنان عادل خيري خمسة ايام فقط ثم فارق الحياة بعد ذلك، وكأنها لعنة على من يقوم ببطولتها .. ولقد توفي نجيب الريحاني عام ١٩٤٩ وهو يستعد لتقديم فيلم عن حياته .. وليس كما اشيع انه مات قبل ان يكمل فيلم غزل البنات الذي كان مزيجا من مسرحيته، «قسمتي والدلوعة».

ولقد عشق نجيب الريحاني ان يقدم على المسرح مواقف سوء التفاهم فقد كان يجيد صنع الموقف الذي يفجر الضحك .. كما جاء في فيلم غزل البنات .. عندما ظن ان الشماشرجي الذي جاء ليقدم له القهوة هو الباشا .. ثم ظن المسؤول عن الكلب هو الباشا .. ثم ظن الباشا هو البستاني . وهذا الموقف كفيل بتفجير الضحك من القلب.

وكانت هوايته التي يجيدها .. هي تغليف حوار مسرحياته ببعض الانتقادات السياسية .. فبعد ان بسطت امريكا هيمنتها على الاقتصاد العالمي بعد الحرب العالمية الثانية .. قال في احدى مسرحياته للفنانة زوزو شكيب .

التفاح اللي في خدودك (يبص على التفاح الامريكاني ويقول له .. ياسم ... اما في مسرحية حكم قراقوش .. فقد انتقد النظام السياسي الذي كان يحكم مصر آنذاك واغلق مسرحه بسبب هذه المسرحية لمدة ثلاثة اشهر وعندما عاد وافتتح مسرحه مرة ثانية قدم نفس المسرحية بنفس ابطالها وحواراتها، فقد كان رحمه الله عنيدا الى اقصى درجة .. رغم انه كان على وشك ان ينال لقب «بك» اسوة بيوسف بك وهبي وسليمان بك نجيب ولكنه كان سعيدا جدا بلقب سي نجيب.

الحقيقة أن سي نجيب ليس ضاحك باكي بل هو باكي ضاحك

توفي نجيب بسبب حساسيته لأبرة المضاد الحيوي البنسلين وهي ظاهرة كانت مجهولة في وقتها لدى عدد كبير من الأطباء

٢

هذا الرجل مدين بخلوده الفنى وتلك المكانة العالية لهذه الشاشة الساحرة التي نسميها السينما، نعم السينما التي لم يتحمس لها كثيرا، ولم يعطها كل ما عنده، فاذا بهذا القليل الذي جاد به من عبقريته يصبح هو كل ما تبقى منه، صورته التي عرفتها اجيال لم تعشه، او تستطيع ان ترنو اليه وهو يختال على خشبة مسرحه.. صوته الاجش الذي تألف اليه الاسماع ولا تخطئه الاذن، فنه واسلوب ادائه وملامح مدرسته وبصمته التي طبعها على افراد فرقته الذين اصبحوا نجوما بفضله، بل وعلى اجيال لاحقه من ممثلين يعترفون او لا يعترفون بأثره عليهم يشعرون او لا يشعرون بانهم بعض منه او ظل له.

قدم نجيب الريحاني . ملك المسرح الكوميدي . بين عامي ١٩١٦ و١٩٤٩ واحدا وثمانين عرضا مسرحيا لم يبق منها صوتا وصورة ولا حتى عرضا واحدا، بينما قدم بين عامي ١٩٣١ و١٩٤٩ تسعة افلام بقيت منها ستة يمكن ان يشاهدها المرء في اي وقت اراد من خلالها فقط يطل علينا الرجل ببعض من فيض فنه وخلاصه عبقريته.

علاقة الريحاني بالسينما بدأت عام ١٩٣١ بفيلم صاحب السعادة (كشكش بيه) وهذا ما يؤكده هو نفسه في مذاكرته، اذن فقد حقق نجاحه السينمائي الاول من خلال شخصية كشكش بيه عمدة كفر الباص تماما مثلما حقق نجاحه المسرحي الاول من خلال نفس الشخصية قبل ذك التاريخ بخمسة عشر عاما.

وربما كان من حسن حظ الريحاني ان ضاعت نسخ افلامه الثلاثة الاولى . صاحب السعادة كشكش بيه وياقوت وبسلامته عاوز يتجوز . لانها كانت سوف تشوه . بالتأكيد . الصورة التي تركها لنا على الشاشة، وتأخذ من المكانة التي ظل يحافظ عليها فشتان بين رجل بدأ حياته عند حافة التهريج وانهاها مع الفلاسفة والمتأملين، اذن سينما الريحاني تبدأ من سلامة في خير سنة ١٩٣٧ وتنتعش من لعبة الست سنة ١٩٤٦، وتنتهي بغزل البنات سنة ١٩٤٩.

ولان الريحاني لم يكن كوميديا بالمعنى المباشر وانما كان اكثر منه ممثلا متمكنا يستطيع بل يستهويه ان يوصلك الى النقيض فانه كان دائم التنقل وببراعة بين المأساة والكوميديا، هكذا هو يملك مرونة لاعب السيرك وليونته في اللعب على اوتار ردود فعل المتلقى وتحويل انفعالاته من الاثر الوجداني الى الابتسامة الشجية المرطبة بالدموع، ان كوميديا الريحاني لا تهدف . كما عند غيره . الى القهقهة او حتى الضجة المسموعة، يكفيه من مشاهديه مجرد الابتسامة التي تقود الى التأمل والتفكير.

عن كتاب الكوميديا من خيال الظل الى نجيب الريحاني للدكتور علي الراعي

وإذا كان الريحاني في عالم المسرح زعيماً و(شيخ طريقة) وعلامة بارزة في تاريخ هذا الفن بعد أن جمع بين يديه كل آليات هذا الفن (التمثيل - الإخراج - التأليف - الإدارة - الإنتاج) إلا أنه في عالم السينما قد ظلم نفسه كما ظلمته السينما ولم تتمكن من استثمار موهبته الرائعة وقد كتب الموسيقار محمد عبد الوهاب مقالاً بعنوان (فنان خلق للسينما) يقول فيه (كان للريحاني وجه معبر صارخ الملامح ناطق السمة تكاد كل خلجة فيه تبرز قصة بليغة صامتة وله لمحات تطفر من عينيه يسجل فيها أروع أحاسيس الفنان الملهم.. دمعة كسيرة أو نظرة مرحة أو غشاء من حزن أو فرح يكسبه لوناً إعجازياً قل أن يكون له نظير في العالم.. وله نبرة صوت فيها كل شجن الفنان تقفز رأساً من خفقة قلبه لتخرج من شفتيه ولا تسجل كل هذا إلا كاميرا السينما).

الريحاني والسينما المصرية

مهدي عباس

ويدفعنا كلام عبد الوهاب إلى الدخول مباشرة في قلب تلك العلاقة الشائكة التي ربطت الريحاني بالسينما حيث لم يحبها وربما تصور أنها ستؤثر على عشقه للمسرح ورغم أن معظم ممثلى الكوميديا من جيله قد سبقوه إلى السينما إلا أنه لم يتأثر أو يشعر بالغيرة. ففي عام ١٩١٩ عرض فوزى الجزايرلى فيلمه القصير (مدام لوليتا). وفي عام ١٩٢٠ شارك على الكسار وأمين صدقى في الفيلم القصير (الخالة الأمريكانية) كما شارك فوزى منيب في فيلمى (خاتم سليمان - في بلاد توت عنخ آمون) عامى ٢٢، ٢٣ كما شارك أمين عطا الله في فيلمى الباشكاتب عام ١٩٢٤ والبحر بيضحك عام ١٩٢٨. كما شارك بشارة واكيم في فيلم المعلم برسوم يبحث عن وظيفة عام ١٩٢٥، وشارك شرفنطح في فيلم (سعاد الغجرية عام ١٩٢٨). وقد شاهد الريحاني كل هذا وكأن الأمر لا يعنيه وعندما بدأ أول محاولاته مع السينما في عام ١٩٢٩ كانت النتائج سيئة جداً حيث شارك مع المخرج جاك شونز في تقديم فيلم صامت ولم يتم الفيلم.. وفي عام ١٩٣١ قدم فيلمه الثانى (صاحب السعادة كشكش بيه) من إخراج استيفان روستى وذلك استثماراً لنجاح هذه الشخصية التي ابتكرها الريحاني والذي دخل هذا الفيلم تحت ضغط الأزمة المادية من دون سيناريو أو خطة عمل وكان يعتمد على الارتجال حيث كان الريحاني يؤلف (أولاً بأول). وفي عام ١٩٣٣ قدم أول أفلامه الناطقة بعنوان (حوادث كشكش بيه). وفي عام ١٩٣٤ قدم فيلم (ياقوت) من إخراج إميل روزييه، وهذا الفيلم أول وآخر فيلم يشارك فيه بديع خيرى كممثل وقد تم تصويره في ستة أيام في باريس وقدم الريحاني هذا الفيلم تحت وطأة أزماته المادية.. وفي عام ١٩٣٦ قدم فيلم (بسلامته عايز يتجوز) من إخراج ألكسندر فاركاش ورأى الريحاني أنه كان فيلماً سيئاً وأنه شخصياً كان فظيعاً بدرجة مؤلمة. وبشكل عام فقد كانت كل أفلام الريحاني الأولى سيئة ولم تستطع استثمار موهبته الكبيرة وقدراته اللامحدودة كممثل عبقرى.. ولم يستطع الريحاني نفسه أن يستثمر قدراته من خلال السينما لأنه في ذلك الوقت لم يكن على دراية كاملة بكل آليات فن السينما كما أنه قد تعامل مع مخرجين محدودى الموهبة، إضافة إلى أن السينما المصرية كانت في بداياتها إلا أن الريحاني كان يطمح في أن يصل إلى مكانة (شارلى شابلن) دون أن يمتلك المناخ العام الذي كان يعيش فيه شابلن.

المهم أن الريحاني انتظر حتى عام ١٩٣٧ لكى يقدم أول أفلامه الكبيرة وهو (سلامة في خير) من إخراج نيازى مصطفي الذي درس السينما في ألمانيا وعمل كمونتير وكان من أنجح من استخدموا الحيل في السينما المصرية ولذلك تدخل بفاعلية في تعديل السيناريو الذي كتبه الريحاني وبديع خيرى فنجح الفيلم خاصة وأنه يضم مجموعة كبيرة من الممثلين الريحاني - حسين رياض - فؤاد شفيق - شرفنطح - راقية إبراهيم - روحيه خالد، وكان (سلامة في خير) ثالث فيلم ينتجه استوديو مصر الذي أنشأه طلعت حرب بعد فيلمى لاشين - العزيمة. وبعد نجاح سلامة في خير، قدم الرباعى (الريحاني - بديع - نيازي - أستوديو مصر) فيلم (سى عمر) سنة ١٩٤١ وهو فيلم مقتبس عن الفيلم الأمريكى (رغبة) للمخرج فرانك يورج، وقد تم تمصيره بشكل رائع وتشجع الريحاني وقدم شخصيتين في الفيلم (عمر - جابر) رغم أنه رفض نفس الفكرة في فيلم سلامة في خير.

وحقق سى عمر نجاحاً أكبر من سلامة في خير حيث كان أكثر نضجاً في كافة المجالات. ورغم نجاح سي عمر إلا أن الريحاني لم يتحمس للسينما بالشكل الكافي ولذلك انتظر خمس سنوات كاملة حتى قدم فيلميه (لعبة الست - أحمر شفايف) في عام ١٩٤٦ من إخراج ولى الدين سامح الذي كان مهندساً للديكور في أستوديو مصر منذ افتتاحه وشارك في فيلم (وداد) كما شارك في فيلمى الريحاني السابقين... ويأتى فيلم لعبة الست كواحد من أهم كلاسيكيات الكوميديا في السينما المصرية بينما يغلب الطابع التراجيدى على فيلم أحمر شفايف حيث تعمد الريحاني أن يشبع رغبته الدائمة في الأداء التراجيدى وإن أدى ذلك إلى عدم نجاح الفيلم على المستوى الجماهيري لأن الجمهور لم يعتد على الريحاني (تراجيديان). وفي عام ٤٧ قدم الريحاني فيلم (أبو حلموس) ليعود به إلى كوميديا الموقف والفيلم مأخوذ عن إحدى مسرحيات بديع خيرى والريحاني. وبعد هذا الفيلم اتفق عبد الوهاب وأنور وجدى اللذان كانا شريكين في شركة إنتاج سينمائى مع الريحاني على تحويل مسرحياته إلى أفلام وكانت البداية في عام ١٩٤٩ بفيلم غزل البنات من إخراج أنور وجدى الذي حشد كوكبة رائعة من كبار النجوم (يوسف وهبى - عبد الوهاب - محمود المليجى - زينات صدقى - ليلى مراد - استيفان روستى - عبد الوارث عسر - سليمان نجيب - فردوس محمد - فريد شوقى - وأنور وجدى) ولم يكن يعلم كل المشاركين في هذا الفيلم أنهم يشاركون في (زفاف) الريحاني عريس الفن المصرى إلى العالم الآخر حيث مات قبل أن يتم تصوير الفيلم وكان ذلك يوم ٧ / ٦ / ١٩٤٩ بعد إصابته بحمى التيفود. وقد نجح فيلم غزل البنات نجاحاً مدوياً جعله يمثل القمة بين كل أفلام (التراجيكوميك) في تاريخ السينما المصرية والعربية وكان أفضل ختام لهذا المشوار الحافل الذي حفره الريحاني بموهبة رائعة واجتهادات خلاقة وقدرة فائقة على التجديد والتجويد ورغم قلة رصيده في عالم السينما إلا أن أفلامه اتسمت بقوة الموضوع وكوميديا الموقف وأسلوب الطرح الاجتماعى والاعتماد على دراما الشخصية التي تتنوع إلا أنها تدور في فلك واحد يعمل على إبراز النزعة الإنسانية البسيطة مع وجود القدرة على النقد الاجتماعى. كما أنه طوال مشواره المسرحى والسينمائى رفض بشدة (كوميديا العاهات) أو (المعلبات سابقة التجهيز) و(الوصفات المجربة) مثل تغيير الصوت أو الشكل أو طريقة المشى. كما كان يحرص في كل أعماله على تأكيد انتمائه الإنسانى والاجتماعى إلى جموع الشعب حيث اختار طوال الوقت شخصياته من الطبقات الكادحة في الشعب. وبشكل عام فإننا بقدر غضبنا وحزننا من السينما التي لم تستثمر هذه الموهبة العملاقة فإننا يجب أن نشكر هذه السينما لأنها احتفظت لنا بستة أفلام رائعة قدمها الريحاني لتصبح دروساً في كيفية الأداء الكوميدى الراقى ويكفي أى فنان صغير أو كبير أن يشاهد ردود الأفعال الصامتة والرائعة التي جسدها الريحاني في فيلم غزل البنات وخاصة عند غناء عبد الوهاب لرائعته (عاشق الروح) لقد بلغ الريحاني في هذه المشاهد ذروة رائعة تجعله يقف على قدم المساواة - إن لم تجعله يتفوق - على أكبر نجوم العالم في التمثيل..

جينا نجيب الريحاني تبحث عن جذور والدها في العراق.. وحفيدتها تتعلم التمثيل في هوليوود

بعد نحو ٦٠ عاما من وفاته، تم تكريمه في مهرجان القاهرة السينمائي عام ٢٠٠٨، وظهرت جينا نجيب الريحاني في المناسبة ليفيق المصريون على وجود ابنة له توارت طيلة تلك الفترة. شكك البعض في نسبها إليه لكنها أشهرت ما يثبت أنها فعلا ابنته. آلت على نفسها أن تسخر حياتها لإعادة البريق إلى تراث والدها، فأعلنت عن إصدار كتاب موسوعي عنه بعنوان «شارلي شابلن العرب»، وإقامة متحف ومركز فنون باسمه، وإطلاق جائزة سنوية لفناني المسرح تحمل اسمه، وأخيرا إنتاج أول فيلم سينمائي عن حياته.

وعلى الرغم من تقدمها في العمر ولغتها العربية المتكسرة فإنها تتحدث العامية المصرية مثل أولاد البلد، وقد اصطبغت طريقة حديثها بأسلوب الريحاني. التقتها «الشرق الأوسط» أثناء سعيها لمقابلة فنان تشكيلي يدعى حمدي الكيال، كان قد رسم للريحاني أكثر من ٩٠ صورة والتقى بديع خيري قبل رحيله، وكان هذا الحوار حول مشروعاتها وذكرياتها:

× على الرغم من كل ما يثار من حولك فإنك لا تضيعين لحظة من دون بحث وجمع لأرشيف الريحاني؟

– طبعا.. أنا أبحث في كل الأماكن، التي كان للريحاني صلة بها وأتقصى عن كل الأشخاص الذين يملكون أي شيء يخصه، ومنذ سنوات عدة علمت أن هناك فنانا تشكيليا سكندريا يدعى حمدي الكيال رسم ٩٠ لوحة لوالدي، وأقام معرضا له في ذكرى وفاته في مسرح الريحاني بالقاهرة سنة ١٩٦٤ وحضره حسن فايق وماري منيب وكل فرقة الريحاني. وأخيرا وجدته، وطلبت منه ما تبقى عنده من لوحات لأعرضها في المتحف الذي أنوي تأسيسه لوالدي.. أريد أن يشعر بالراحة في مماته؛ لأنه تعب في الدنيا؟

× علمنا أنك تعدين مفاجأة لعشاق الريحاني ومحبي فنه فما هي؟

– سأنتج فيلما سينمائيا عن حياته، وخاصة أن تفاصيل قصة والدتي وقصتي لا يعلمها غيري، وقد ذكر بديع خيري سيرة والدتي، وقال: ثلاثة أثروا في حياة الريحاني: بديعة مصابني، وجوزفين بيكر، ولوسي والدتي، أيضا سأطلق جائزة سنوية باسم الريحاني لأحسن ممثل مسرحي، كما أعد كتابا ضخما سيصدر هذا العام، ومتحمسة جدا لترجمته إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية. إضافة إلى رغبتي في إقامة تمثال له يوضع في حديقة الأزهر ليكون قريبا من المناطق الشعبية التي أحبها.

× فلماذا، إذن، تودين إقامة مسرح له بعيدا عن المناطق الشعبية؟

– كنت أرغب في إقامة مركز فني باسمه يضم مسرحا ومتحفا ومكتبة لتعليم الأطفال فنون التمثيل والمسرح، ليأتي عشاقه من كل أنحاء العالم ليتعلموا، وهذا أمر من الصعب تحقيقه في الفيلا الخاصة به في منطقة حدائق القبة؛ لأنها محاطة بالعشوائيات وحاولت تطويرها بمساعدة نجيب ساويرس لكن لم نستطع.

× هل كان يعيش فيها والدك، وهل أقمت بها أثناء حياته؟

– أبدا، والدي أنشأها لتكون مسرحا وملتقى للتعارف بين الفنانين المسنين، وهذه من المآسي التي عاشها، وكانت الفيلا مسخّرة لخدمة العمل الفني، وخصصها لكي يعيش فيها المسنون من كبار الفنانين. وهي تقريبا الفكرة نفسها، التي يحاول الفنان محمد صبحي تنفيذها في مدينته.

× هل يساعدك أحد من الفنانين أو نقابة الفنانين؟

– إطلاقا.. بل على العكس، لا مسؤولون ولا فنانون.. الوحيد الذي ساعدني محمد كامل القليوبي، وقدمنا فيلما كان اسمه «مع ٦٠ ألف سلامة» مدته ساعتان، وهو أصر على أن أتحدث في الفيلم عن قصة والدي ووالدتي، وعرض في فرنسا، ولقي إقبالا كبيرا من الناس يوميا.

× طيلة رحلتك الشاقة في البحث والتنقيب، هل قابلت تفاصيل غامضة في حياة والدك؟

– هناك تفاصيل لا تزال غامضة في حياته.. منها، مثلا، عمله في سن صغيرة وتحمل مسؤولية إخوته، بعد وفاة جدي، على الرغم من وجود أخيه الأكبر توفيق! وحتى الآن، لا أجد أي تفسير لعدم حفاظ فرقته أو من حوله على مقتنياته، ولا أجد مبررا لعدم تفكير أحد في تكريمه طيلة هذه السنوات! حتى مدرسة ألفرير في الخرنفش، التي كانت تحتفظ بصور له ذهبت إليها فلم أجد أثرا له هناك..

أنا أبحث في كل الأماكن، التي كان للريحاني صلة بها وأتقصى عن كل الأشخاص الذين يملكون أي شيء يخصه، ومنذ سنوات عدة علمت أن هناك فنانا تشكيليا سكندريا يدعى حمدي الكيال رسم ٩٠ لوحة لوالدي، وأقام معرضا له في ذكرى وفاته في مسرح الريحاني بالقاهرة سنة ١٩٦٤

زرت حارة درب مصطفى مكان بيته القديم، فلم أجد إلا مجموعة من الطوب، طيلة الفترة الماضية لا معارض ولا برامج ولا تمثال ولا جائزة!

× هل جمعت أي شيء من مقتنياته؟

– بعد وفاته عام ١٩٤٩، قام طلعت حسن مدير مسرح الريحاني ببيع كل ما يملكه والدي للروبابيكيا، وحتى الملابس التي كانت بحوزة خياطة الفرقة، وهي يونانية الجنسية، تم بيعها وكل مقتنياته التي كانت في شقته بشارع شريف، تم بيعها بالمزاد العلني في سنة ١٩٦١، لتسديد ٢٠٠ جنيه مستحقات الضرائب! لم يحاول أي أحد تدبير المبلغ والحفاظ على هذا الكنز، ولم يفعل عمي يوسف وابن عمي بديع الريحاني أي شيء من أجل إنقاذ تراث والدي.

× وماذا عن بديع خيري رفيق الريحاني، ألم تعثري على أي شيء من خلال عائلته أو ورثته؟

– بديع خيري بالفعل كان معه سر الريحاني كله، لكن للأسف لم يساعدني أحد وتنكرت لي إحدى بناته وتحدثت للصحافة واتهمتني بأنني مدعية! ولو كان والدهم على قيد الحياة لتغيرت الأمور؛ لأن بديع كان يعلم بوجودي.

× برأيك، ما سبب الجدل المثار حول شرعية بنوتك؟

– بعد ظهوري في مهرجان القاهرة السينمائي ٢٠٠٨، اعتبروني مزورة و«فالصو»، ونصابة؛ لأنهم لا يعرفون السبب وراء اختفائي كل هذه السنوات. أنا كنت مقيمة بمصر ولم أكن مختفية، ولكني كنت بعيدة عن الأضواء، ولم يسألوني عن سبب ابتعادي عن الإعلام طيلة هذه السنين، وقد رفضت الرد على هذه التفاهات، لكني أملك شهادة ميلادي و«محدش له حاجة عندي».

× كيف كان اللقاء بين الريحاني ووالدتك؟

– كانت والدتي لوسي دي برناي، المولودة في بلدة على الحدود الألمانية الفرنسية، راقصة في فرقة في فرنسا، ثم جاءت إلى مصر وعمرها ١٨ سنة مع فرقتها لتقديم فقرات في أحد الكازينوهات وكان الريحاني يبحث عن فتاة أجنبية تمثل معه في مسرحية «كشكش بيه» ١٩١٨، وأقنعها بالتمثيل وقام بتعليمها بعض الكلمات العربية، ووقعا في فخ الحب وتزوجها وعاشا في مصر ٣ سنوات، وتركته وسافرت إلى باريس ١٩٢١، بعدما شاهدته مع أخت فاطمة رشدي في حديقة الأزبكية، لكنه كان دائما على اتصال بها، ثم تزوجت أمي تاجرا ألمانيا وعاشت معه ٤ سنوات في ألمانيا، ثم انفصلت عنه بسبب إدمانه القمار. ولما فقد والدي الأمل في الاتصال بوالدتي تزوج بديعة مصابني، وسافرا إلى أميركا عام ١٩٢٤، وبعد ٣ سنوات انفصل عنها من دون طلاق؛ لأن المسيحية لا يوجد فيها طلاق، وسافر من البرازيل إلى باريس ليسأل عن والدتي، ثم جمعتهما الصدفة في مسرح «كوميك» أحد المسارح الفرنسية سنة ١٩٣٦، وكانت فترة انفصالها عن الريحاني ١٦ سنة، ثم عادت المياه إلى مجاريها وجئت للدنيا عام ١٩٣٨. الريحاني رآني مرة واحدة فقط بعد ولادتي، بعدها انقطعت الاتصالات بينهما مرة أخرى بسبب الحرب العالمية وبسبب تعنت هتلر ومنعه زواج الألمانيات من الأجانب، ثم تكررت اللقاءات السرية بينهما سرا حتى لا تعلم مصابني بالأمر إلى أن توفى ١٩٤٩.

× ما آخر ما تذكرينه للريحاني؟

– آخر مرة رأيته، كان عمري ١٠ سنوات في سنة ١٩٤٨، وأتذكر له مواقف كثيرة لكن أهمها أول مرة قابلته فيها بباريس وكان عمري ٩ سنوات، لم أكن أعرف من هو وكانت والدتي تقول لي دائما عندما أسألها إن والدي ألماني وذهب للحرب، لأنها كانت تخاف من الحكم النازي، ولكون والدي أسمر. حينما رأيته أول مرة فوجئت، ولم أشعر بتآلف أو حميمية معه. وأتذكر أن أفضل أوقاتي معه حينما كنا نعيش في فرنسا حيث كان يأخذ إجازة لمدة شهر من المسرح، نقضيه كله في التنزه والمرح سويا. وما زلت أحتفظ بصورته تحت وسادتي وأقبّلها كل يوم.

× ماذا تنوي ابنة الريحاني في الفترة القادمة؟

– سأذهب لبلد جدي العراقي، الذي كان يعمل في تجارة الخيول. وحينما كنت في مهرجان دمشق تحدثت مع التلفزيون العراقي، وقلت لهم إنني أريد أن أبحث عن كل شيء يخص عائلة ريحانة، ورحب التلفزيون وتحمسوا لمساعدتي جدا، بل كونوا فرقة مسرحية لتقدّم عروضا أثناء الاحتفالية، التي سنقيمها للريحاني هناك، لكني أنتظر حتى تهدأ الأمور في العراق.

جريدة الشرق الاوسط
تشرين الثاني ٢٠٠٨

182

OUT SIDERS

الحياة السرية لـ«نجيب الريحاني»

لازال الفنان «نجيب الريحاني» محور اهتمام السينمائيين وذلك رغم مرور حوالي نصف قرن على رحيله.

المخرج «محمد كامل القليوبي» لديه ميزة لا يتمتع بها معظم مخرجي الأفلام الوثائقية المصرية. وهي استخدام الكاميرا والفيلم كوسيلة لاستكشاف وكشف أشياء غير معروفة من قبل.

أهم أعمال «القليوبي» في هذا المجال هو فيلم (وقائع الزمن الضائع) الذي اكتشف من خلاله ميراث رائد السينما المصري «محمد بيومي». وهو اكتشاف غير تاريخ السينما المصرية التي كان يعتقد أنها بدأت بفيلم (ليلى) عام 1927 على يد «عزيزة أمير». لكن تبين أن «بيومي» قام بصنع أفلام قبل ذلك بخمس سنوات كاملة أن هذه الأفلام لا تزال موجودة في سندرة منزله. قام «القليوبي» بعد ذلك بعمل عدة أفلام وثائقية تخلو من هذه الروح الكشفية مثل فيلميه عن الموسيقار «جمال عبد الرحيم» والأسطورة «روز اليوسف». بغض النظر عن مستواهما الفني، لكنه في فيلمه الجديد (نجيب الريحاني.. في 60 ألف سلامة) يعود إلى غريزته الكشفية وينجح في تغيير سيرة واحد من أهم نجوم التمثيل والكوميديا في العالم العربي وهو «نجيب الريحاني» (1889 – 1949).

تعود بداية القصة إلى أكثر من عام مضى عندما أعلن مهرجان «القاهرة» السينمائي الدولي عن إهداء دورته الواحدة والثلاثين إلى روح «نجيب الريحاني» وعهد للدكتور «كامل القليوبي» بتولي الاحتفالية. وفي تلك الفترة ظهر مخرج مسرحي مغمور زعم أن هناك ابنة لـ«نجيب الريحاني» اسمها «جينا» وأنه قام بتسجيل قصتها في كتاب. وتم بالفعل طبع الكتاب كما تمت دعوة «جينا» أو «جيزابيل» –وهي سيدة عجوز تتجاوز السبعين– إلى حفل الافتتاح حيث حياها الجمهور الذي أخذته المفاجأة بحماس شديد. لكن عقب هبوطها من المسرح اختفت «جينا» تاركة وراءها عشرات من علامات الاستفهام الغامضة. وسرعان ما قام البعض، مثل الدكتور «أحمد سخسوخ» والصحفي «نبيل سيف» بنقض رواياتها كما جاءت في الكتاب المنشور وتم الاستعانة ببعض شهادات أبناء أو أحفاد أشخاص كانوا مقربين من «نجيب الريحاني»، وطوال هذه الفترة لم تظهر «جينا» لترد على هذه الاتهامات.

لكن الدكتور «محمد كامل القليوبي» نجح في إقناعها بالظهور مرة أخرى من خلال فيلم تروي فيه حكايتها. وحكاية أمها «لوسي دي فيرناي» التي ربطتها بـ«الريحاني» قصة حب هائلة كتب عنها في مذكراته لكنه لم يتطرق لوجود ابنة له.

في الفيلم الذي قام «القليوبي» بإنتاجه على نفقته الخاصة وبمساعدة بعض الأصدقاء، بتسجيل حكاية «جينا» وأمها بالوثائق التي يصعب دحضها، وبتصحيح الكثير من المعلومات الخاطئة التي كتبها المخرج المسرحي في كتابه والتي أدت إلى كثير من اللبس والتشكيك في علاقة «جينا» بـ«الريحاني».

وبالرغم من أن الفيلم به الكثير من الملاحظات الفنية مثل تقسيم الفيلم إلى فصول ذات عناوين رنانة. لكن غير فعالة والكثير من الزوائد والحشو خاصة في نصفه الثاني، بالرغم من ذلك إلا أن قصة «جيزابيل» وأمها وحضورها الأخاذ على الشاشة والمشاعر الجارفة التي تروي بها حكايتها تصرف ذهن وقلب المشاهد، خاصة الذين يعرفون «نجيب الريحاني» ويعشقونه، عن أي سلبيات بالفيلم.

(نجيب الريحاني.. في 60 ألف سلامة) هو نموذج للفيلم الوثائقي الذي يمكن أن يغير حياتنا وأفكارنا وتاريخنا.

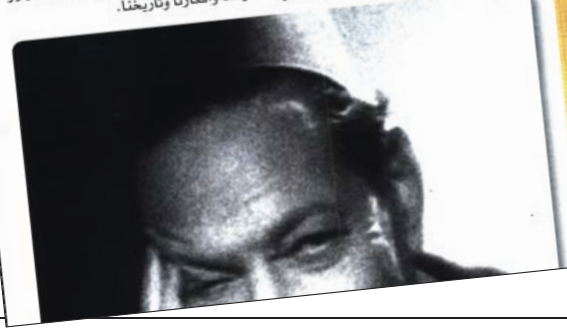

«جينا» في طفولتها مع والدتها

ولد نجيب أبو إلياس الريحاني في عام ١٨٩٠ في حارة درويش مصطفي في حى باب الشعرية بالقاهرة من أب ينحدر من أصول عراقية كان يعمل بالتجارة وأم مصرية اسمها لطيفة.. وعندما وصل الطفل إلى سن المدرسة أدخله والده مدرسة (الخرنفش) حيث تعلم اللغة الفرنسية وأجادها وحيث استهواه فن التمثيل فالتحق بالفرقة المسرحية بالمدرسة بعد أن عشق التمثيل من خلال دروس الإلقاء التى كان يلقيها (الشيخ بحر) الذي جعل الريحاني يعشق اللغة العربية والتمثيل وقد توفي والده وهو في سن الخامسة عشرة فترك المدرسة ليصبح مسئولاً عن الأسرة خاصة وأن شقيقه (جورج) لم يكن من النوع الذي يمكن الاعتماد عليه. وكانت أسرة الريحاني تعده منذ البداية لكى يكون (موظفاً محترماً) ولذلك سعدت كثيراً عندما وجد فرصة للعمل في بنك التسليف الزراعى وتصادف أن يكون معه في البنك الشاب عزيز عيد الذي كان هو الآخر عاشقاً للفن بشكل عام وللإخراج المسرحى بشكل خاص.. وكانا كثيراً ما يذهبان لكي يعملا (كومبارس) مع الفرق الأجنبية التي تقدم عروضها على مسرح دار الأوبرا.

الريحاني.. شارلي شابلن العرب

الفيلسوف الضاحك حتى البكاء..

كما التحق الريحاني بالعديد من فرق الهواة المسرحية مما جعله يتغيب كثيراً عن البنك وانتهى الأمر بفصله ومعه عزيز عيد. فالتحق الريحاني بفرقة إسكندر فرح وتركها سريعاً وراح يتنقل بين الفرق الصغيرة ثم قرر أن ينشئ فرقة خاصة به وأن يحترف التمثيل فغضبت أمه وقررت مقاطعته لأنها تحتقر التمثيل.. المهم أنه استأجر (جراجاً) وحوله إلى مسرح بدائى وقدم أول مسرحية بعنوان (خلى بالك من إبليس) وكان الإيراد اليومى من ٥٠ - ٦٠ قرشاً يقتسمها مع عزيز عيد بعد خصم المصروفات.. وسرعان ما فشلت التجربة وعاد الريحاني ليعمل مع الفرق الأخرى. واتسمت شخصيته منذ البداية بأنه لم يكن ممثلاً يكسب (لقمته) من مهنة التمثيل ولكنه كان فيلسوفاً وفناناً أصيلاً عاش لفنه فقط، وقد لقى الاضطهاد والحرمان وشظف العيش في سبيل فنه. وكان منذ البداية أيضاً يعشق (التراجيديا) ولكن الجمهور أجبره على أداء الكوميديا فاستطاع أن يغلف أداءه الكوميدى بذلك الشجن الشفيف الذي أعطاه طعماً خاصاً وقد تولد هذا الشجن من صراعاته الطويلة مع الحياة ومن العديد من الأحداث المؤلمة التي مر بها. ورغم تفوقه الهائل في الكوميديا إلا أن حنينه الدائم للتراجيديا كان يجر عليه الكثير من الويلات مثل الاستدانة وهجوم الصحافة وكتب في مذكراته.. (كل هذا لأننى تجاسرت على قدس الدراما من غير (إحم ولا دستور). المهم أن مشواره مع الاحتراف بدأ من خلال علاقته بالفنان عزيز عيد فكون فرقة مع الممثل سليمان الحداد وقدمت الفرقة عروضها على مسرح إسكندر فرح بشارع عبد العزيز وكانت تقدم مسرحيات (الفودفيل) المترجمة عن الفرنسية مثل (ضربة مقرعة - الابن الخارق للطبيعة - عندك حاجه تبلغ عنها - ليلة الزفاف) ولم تستطع هذه العروض أن تحقق النجاح المطلوب. وفي ظل هذه الحالة الضنك قابل أمين عطا الله الذي عرض عليه السفر معه للإسكندرية للعمل في فرقة شقيقه سليم عطا الله بمرتب أربعة جنيهات كاملة. ووجد الفرقة تستعد لتقديم مسرحية (شارلمان الأول) فأخذ الريحاني دور شارلمان وهو الدور الثانى ونجح كثيراً وكان يحاول التجديد والتجويد كل ليلة. ودعا عطا الله مجموعة من الأدباء والفنانين لمشاهدة العرض وتفوق الريحاني على عطا الله فحظى بثناء كل الأدباء والفنانين وتوقع أن عطا الله سوف يكافئه ولكن المكافأة أنه استغنى عنه. فعاد إلى القاهرة عاطلاً ليجلس على مقهى الفن. ونجح خاله في توظيفه بشركة السكر في نجع حمادى فسافر على الفور وتفوق في عمله ولكنه ارتبط بعلاقة عاطفية مع الزوجة الشابة للباشكاتب العجوز وانفضح الأمر فتم طرده من الشركة وعاد إلى القاهرة لتطرده أمه من البيت وضاقت به الدنيا لدرجة أنه كان ينام في الحديقة بجوار قصر النيل وفيها التقى بالكاتب المعروف محمود صادق سيف ينام في نفس (الفندق) وبعد عدة أيام أخبره سيف بأن صاحب مكتبة المعارف كلفه بترجمة رواية بوليسية فرنسية اسمها (نقولا كارتر) مقابل ١٢٠ قرشاً عن كل جزء وشاركه الريحاني في الترجمة ورغم أن (الحالة أصبحت ميسرة) إلا أن حنينه إلى المسرح كان يملك عليه حياته ولذلك فرح كثيراً بالعرض الذي قدمه له (مصطفي سامى) في أن يترجم بعض روايات الفودفيل الفرنسية لفرقة شقيقه الشيخ أحمد الشامى وعمل الريحاني ممثلاً ومترجماً مقابل أربعة جنيهات في الشهر وكانت هذه الفرقة جوالة تلف المدن وتطلب من أعضائها أن يحملوا معهم المراتب والألحفة وبعد انتهاء جولة الصعيد ذهبت الفرقة إلى الوجه البحرى وفي طنطا فوجئ الريحاني بوالدته أمامه ذات صباح ومعها خطاب بعودته إلى شركة السكر في نجع حمادي فعاد إلى الشركة وزاد مرتبه إلى ١٤ جنيها. ورغم هذا ظل تفكيره طوال الوقت في المسرح. وفي عام ١٩١٢ أرسل إليه عزيز عيد رسالة يؤكد فيها بأن فن التمثيل قد ارتفع شأنه وأن جورج أبيض قد عاد من أوروبا وينوى تأليف فرقة مسرحية ومع ذلك ظل الريحاني في عمله ولكن الصحافة اهتمت كثيراً بالتمثيل والممثلين فخارت مقاومته وطلب إجازة لمدة شهرين وعاد إلى القاهرة ليشاهد تمثيل جورج أبيض وانتهت إجازته وقد تملكه شيطان التمثيل تماماً وقد خفف عنه نقل محمد عبد القدوس إلى مدرسة الصنايع في نجع حمادى وراح كل منهما يمارس فن التمثيل أمام الآخر وفجأة عاد عبد القدوس إلى القاهرة. وراح الريحاني يمثل لنفسه و(على نفسه) وفي عام ١٩١٣ زار نجع حمادى منوم مغناطيسى فرنسى ومعه زوجته التي تجيد قراءة الكف وفي محاولة لكسر الملل ذهب الريحاني إليها لتقرأ كفه فقالت له (حياتك ستكون ضجة صاخبة وأموالا كثيرة وستنتقل من الغنى إلى الفقر ثم إلى الغنى). وفجأة استغنت عنه الشركة وأعطوه ثلاثة أشهر مكافأة فعاد إلى القاهرة عام ١٩١٤ ومعه ٧٠ جنيهاً فذهب لمشاهدة رواية (أوديب الملك) لجورج أبيض. وقد اتفق سلامة حجازى مع جورج أبيض على تكوين فرقة مسرحية وعرضا على الريحاني الانضمام إليها فوافق ووجد بالفرقة (روزاليوسف - سرينا إبراهيم - نظلى مزراحى - عبد العزيز خليل - عبد المجيد شكرى - محمود رحمى - فؤاد سليم) وقدمت الفرقة رواية (صلاح الدين الأيوبي) وقام جورج أبيض بدور ريتشارد قلب الأسد أما الريحاني فكان مجرد كومبارس متكلم في شخصية ملك النمسا. وقامت الحرب العالمية الأولى ونشرت الصحف صورة ملك النمسا وأعد الريحاني المكياج ليحاكي الملك الحقيقى مما أثار الضحك ولكن الفرقة استغنت عن خدماته بحجة أنه لا يصلح للتمثيل نهائياً. ورغم هذه الشهادة القاسية إلا أنه فكر في إنشاء فرقة مسرحية وتحمس للفكرة عزيز عيد - أمين عطا الله - أمين صدقى - استيفان روستى - حسن فايق - روزاليوسف - عبد اللطيف جمجوم ولكن الحماس اصطدم بحالة الإفلاس التي يعيشون فيها وعلم الخواجة صاحب المقهى الذي يجلسون عليه بمشكلتهم فأقرضهم عشرة جنيهات ليكونوا فرقة (الكوميدى العربي) على مسرح دار التمثيل العربي واختاروا مسرحية (خلى بالك من إميلى) تمصير أمين صدقى وقام عزيز عيد بتوزيع الأدوار وأعطى الريحاني دور (برجيه) خفيف الظل فاعتذر الريحاني لأنه ممثل تراجيدى وليس له في الكوميديا. وأصر عزيز عيد وقبل الريحاني على اعتبار أنها مرة ولن يكررها ومع ذلك نجح نجاحاً كبيراً ورغم نجاح العرض طاردتهم الصعوبات وقرر الريحاني أن يجاهد لكى يعترف الناس بمهنة التمثيل وأنها مهنة تشرف أصحابها وتشرف المجتمع.. وتوفيراً للنفقات انتقلت الفرقة إلى مسرح الشانزليزيه في الفجالة حيث قدمت أكثر من مسرحية وبدأت قدم الريحاني تثبت بعد أن أصبح يدرس الدور ويعرف كيف يتعمق في الشخصية. واقترح على يوسف أن تستثمر الفرقة نجاحات منيرة المهدية في الطرب لكى تمثل معها فاتفقوا معها على تقديم فصل من إحدى روايات الشيخ سلامة حجازى كل ليلة على أن يقتسما الإيراد ونجحت التجربة كثيراً ولكن فجأة قررت منيرة المهدية الانفصال عن الفرقة لتعود أيام الضنك والركود الشديد. وطلب الريحاني من عزيز عيد أن يضع اسمه في إعلانات الفرقة فرفض وعلى الفور قرر الريحاني الانفصال عن الفرقة. وقد وجد الريحاني في شخصية كشكش بيه (طوق النجاة) تلك الشخصية الأشهر والأهم في تاريخ نجيب الريحاني وربما في تاريخ المسرح الكوميدى كله، وقد رسم الريحاني هذه الشخصية لتكون عمدة من الريف يبيع القطن لينزل إلى القاهرة وتلتف حوله الحسناوات حتى يضيع ماله ليعود إلى القرية نادماً. وعندما تفتق ذهن الريحاني عن هذه الشخصية الهزلية كان يقدم مع استيفان روستى عروضاً مرحة في ملهى (الأبيه دى روز) فعرضا على صاحبه تقديم اسكتش فكاهى لمدة ٢٠ دقيقة فوافق الرجل وأطلق الريحاني على هذا الإسكتش اسم تعالى لى يا بطه، وقام بالتأليف والإخراج ووضع الألحان ومع ذلك لم يكن راضياً حتى قبل رفع الستار بدقائق ولكنه اقتحم المسرح (يا قاتل يا مقتول) ونجحت الشخصية ورفع صاحب المحل أجر الريحاني من ٤٠ إلى ٦٠ قرشاً. وجاءت المسرحية الثانية بعنوان (كشكش بيه وشيخ الغفر زعرب) ولتنجح نجاحاً مدوياً فيقرر صاحب المحل إعطاء الريحاني ٥٪ من الدخل إضافة إلى الستين قرش اليومية. ووصل الإيراد اليومى من ٣٠ - ٤٠

جنيهاً وعمل الريحاني على كتابة مسرحية جديدة كل أسبوع مما أصابه بالتعب الشديد فعرض عليه الخواجة (روزانى) مدير الملهى أن يختار له مساعداً فاختار أمين صدقى وارتفع راتب الريحاني إلى ٢٧ جنيهاً في الشهر وهو أعلى راتب في ذلك الوقت.

وبعد نجاح التجربة حاولت الكازينوهات الأخرى أن تسير على نفس الدرب فاتفقت مدام مارسيل صاحبة كازينو (دى بارى) مع عزيز عيد على تكوين فرقة مسرحية ولكن الفرقة فشلت ولم تيأس مارسيل وراحت تغير وتبدل في الفرق إلى أن وجدت ضالتها في على الكسار ومصطفي أمين. ولمع اسم الكسار في عماد الدين إلى جوار اسم الريحاني. ودأب الحاسدون والوشاة على الدس والوقيعة بين الريحاني وروزانى وطلب الريحاني رفع راتبه إلى ثلاثين جنيهاً ورفض روزانى فترك الريحاني الملهى واتفق مع الخواجة (ديموكنجس) ليعمل معه في مسرح (الرينسانس) في شارع بولاق (٢٦ يوليو الآن) على أن يتقاضى راتباً قدره ١٢٠ جنيهاً فرفع روزانى قضية بعدم استخدام كشكش بيه فخسر القضية وألزمته المحكمة بدفع ١٠٠ جنيهاً قيمة الشرط الجزائى كما أكدت المحكمة على أن كشكش بيه من ابتكار الريحاني.

وبدأ الريحاني على مسرح الرينسانس بمسرحية (ابقى قابلنى) ثم قدم كشكش بيه في باريس واتفق الريحاني مع ديموكنجس على بناء مسرح جديد أطلقا عليه اسم (الاجيبسيانه) والذي تحول إلى أشهر مسرح في عماد الدين، وبدأ المسرح نشاطه بعرض (أم أحمد) في ١٧ سبتمبر عام ١٩١٧ وانضم إلى الفرقة حسين رياض وفي نهاية هذا العام توفي الشيخ سلامة حجازى فقرر الريحاني إيقاف العرض حداداً على روح الشيخ ورفض (ديموكنجس) وانسحب الريحاني من الفرقة وأسند الخواجة دوره لحسين رياض في مسرحية (دقة بدقة) ففشلت فشلاً كبيراً وذهب (كنجس) إلى الريحاني ليعود إلى الفرقة فاشترط عليه أن يترك كل أمور الفرقة على أن يتقاضى ٣٠ ٪ من الإيراد ومنذ هذا التاريخ بدأت رحلة الريحاني مع إدارة الفرقة المسرحية ليجمع ما بين التمثيل والتأليف والإخراج والإدارة وبدأ مشواره في الإدارة بمسرحية (حماتك تحبك) ورغم نجاح العرض إلا أنه اكتشف أن الإقبال الجماهيرى يتزايد على مسرح الكسار فذهب ليعرف السبب واكتشف أن السر في (الاستعراض) فقرر أن يحول مسرحه إلى (استعراضى) وأعد مع أمين صدقي مسرحية (حمار وحلاوة) التي حققت نجاحاً كبيراً وإيراداً ضخماً وصل إلى ٤٠٠ جنيها في شهر فطلب أمين صدقى رفع راتبه إلى الضعف أى ١٦٠ جنيها ورفض الريحاني فترك صدقى الفرقة وجاء أكثر من كاتب يعرض خدماته إلى أن أعجب الريحاني بأزجال شاعر اسمه (جورج) وسرعان ما اكتشف أن هذا ال (الجورج) ليس إلا بديع خيرى الذي كان يصدر مجلة اسمها (ألف صنف) إلى جانب عمله كمدرس في وزارة المعارف ولذلك يكتب باسم مستعار. واتفق معه الريحاني على الاستقالة من عمله ليتقاضى عشرة أضعاف راتبه وليتفرغ لمشاركته في الكتابة للفرقة وبدأ التعاون بينهما بمسرحية (على كيفك) التي حققت نجاحاً كبيراً.

في الوقت الذي كانت كوميديات الريحاني والكسار تحقق النجاحات الكبيرة كانت تراجيديات جورج أبيض لا تحقق إلا البوار.. فقرر جورج أن يمشى على دربهما فجاء بالمطرب حامد مرسى ليغنى بين الفصول في رواية (فيروز شاه) وقد لفتت هذه المسرحية الأنظار إلى الألحان الجميلة للشاب سيد درويش ولأن الريحاني كان طوال الوقت يبحث عن المواهب الجديدة ويعمل على ضمها إلى فرقته فقد سارع إلى التعاقد مع سيد درويش والذي كان يتقاضى ١٨ جنيها مع جورج أبيض فأعطاه الريحاني ٤٠ جنيها مرة واحدة. ووضع الثلاثى (الريحاني – بديع – درويش) رواية (ولو) وبها لحن السقايين الشهير. وقد أدت النجاحات الكبيرة والمتوالية التي حققها الريحاني إلى حرصه على أن تخرج عروضه في أكمل صورة مما جعل مسرحه قبلة لعلية القوم والمثقفين، وكان الريحاني يفتخر بأن الزعيم سعد زغلول كان دائم التردد على مسرحه وشاهد رواياته مما دفع الريحاني إلى الحرص على تقديم أمراض المجتمع وطرق علاجها وذلك من خلال رواياته التي تدعو إلى حب الوطن والحرص على كرامته والتغنى بأمجاده..

وقد دفعت هذه النجاحات حساد الريحاني إلى إعلان الحرب عليه وذلك بالعديد من الأسلحة بداية من التشهير في الصحافة وانتهاء بالاستعانة بالبلطجية لإفساد عروض الريحاني الذي لم يجد وسيلة لوقف هذا إلا بالاتفاق مع (شيخ منصر البلطجية) وكان اسمه يوسف شهدى لكى يعمل بالفرقة في وظيفة حفظ نظام الصالة ونجحت الخطة وابتعد البلطجية.

بعد نجاح مسرحية (ولو) قدم الثلاثى (الريحاني – بديع – درويش) مسرحية (قسَم) التي حققت نجاحات كبيرة وانهالت الأرباح حيث حقق الريحاني ٢٠ ألف جنيه. وارتفع صوت الهم الوطنى في رواياته مما دفع (مستر هورنيلو) مدير الأمن العام في ذلك الوقت إلى مصادرة رواية (قولوا له) وبعد قرار المصادرة بأيام انفجرت مظاهرات ثورة ١٩ وخرج الريحاني وفرقته للمشاركة فيها، ورغم وطنية الريحاني الواضحة إلا أن خصومه حاولوا بكل الطرق الطعن في وطنيته حيث اعتلى أحد خصومه منبر الأزهر أثناء اجتماع حاشد وأكد على أن الريحاني دسيسة إنجليزية وأن الإنجليز يمولون رواياته، فهتف الناس ضد الريحاني وقرروا قتله فأسرع مصطفي أمين (شريك الكسار) إلى بيت الريحاني وأخبره بالأمر وطالبه بالهرب فوراً فانتقل إلى أحد الفنادق. ونجحت المظاهرات في جعل سعد زغلول يذهب من منفاه في مالطا إلى فرساى للمشاركة في مؤتمر السلام وتم إعادة فتح المسارح مع مزيد من الضبط والربط وجاهد الريحاني للإفراج عن رواية (قولوا له) ونجح في ذلك وكانت تحوى ألحاناً للطوائف التي شاركت في المظاهرات وتحولت الرواية إلى مظاهرة يومية من الوطنية والاحتفاء بالريحاني وفرقته. وبعد هذا النجاح لم يرض الريحاني عما حققه وقرر الاستعانة بالمخرج عزيز عيد لتكوين فرقة جديدة واستأجر مسرح كازينو (دى بارى) وأتى بمسرحية فرنسية اسمها (اللحية الزرقاء) واتفق مع محمد تيمور على تمصيرها على أن يضع بديع خيرى أزجالها ويلحنها سيد درويش وهكذا ولد أوبريت (العشرة الطيبة) الذي يعد أكبر أوبرا كوميك في مصر ورغم نجاح هذا الأوبريت إلا أن خصوم الريحاني استغلوه للتأكيد على أنه دسيسة انجليزية حيث يركز الأوبريت على مساوئ الأتراك في عيون المصريين. وكان المسرح يشهد كل ليلة من يطالب بسقوط الريحاني عميل الإنجليز وربيب نعمتهم ولكن الأغلبية كانت تؤكد على وطنيته وقد كتب (مرقص حنا) وكيل اللجنة المركزية للوفد بعد أن شاهد الرواية مقالاً يشيد فيه بالريحاني وبعمله الوطنى الكبير وقد جاء هذا المقال ليحقق نصراً ساحقاً للريحانى على خصومه. وفي قمة هذا النجاح انهالت الكوارث على رأس الريحاني الذي اشترى كما هائلاً من العملات الأجنبية فهبطت أسعارها جميعاً مما أصابه بتدهور مالى وانهيار معنوى فأهمل عمله وعمت الفوضى في ثنايا المسرح ثم اختلف مع عزيز عيد وسيد درويش بسبب الوشايات حيث كان يمول مسرحهما ولا يمثل فيه وقرر أن يترك لهما (الجمل بما حمل) أما المصيبة الأكبر فكانت انهيار علاقته بصديقته لوسى (وش السعد عليه) وللخروج من هذه الكوارث قرر أن يقوم برحلة إلى لبنان وسوريا وما إن وصل إلى بيروت حتى وجد نفسه أمام مصيبة أكبر بعد أن اكتشف أن أمين عطا الله (وكان ممثلاً بفرقته قبل سنوات) استطاع أن ينسخ كل رواياته وأن يغتصب اسم كشكش بيه وأن يكون فرقة من مواطنيه في سوريا ويقدم بها هذه الروايات ولذلك رأى الناس أنه مجرد مقلد لكشكش بيه الأصلى الذي هو أمين عطا الله ولم تنجح الرحلة فنياً أو مادياً وزادت هموم الريحاني. ومع ذلك لم تخل رحلة الشام من فوائد حيث اتفق الريحاني مع الراقصة بديعة مصابنى على أن تنضم لفرقته بمرتب ٤٠ جنيهاً في الشهر. وعاد من الشام لتتواصل رحلته مع الكوارث حيث رحلت والدته عن الدنيا كما اختفي شقيقه الأصغر.

وفي عام ١٩٢٣ عاد يوسف وهبى من إيطاليا واتفق مع عزيز عيد على تكوين فرقة جديدة في شارع عماد الدين فقرر الريحاني الاستعداد للمنافسين الجدد. وكتب بديع خيرى أول رواية من تأليفه وهى (الليالى الملاح) بعد أن كان يكتب الأزجال ويشارك الريحاني في التأليف. وقد أعجب الجمهور ببديعة مصابنى وتوالت المسرحيات (الشاطر حسن – أيام السفر) لتصبح بديعة كما أراد لها الريحاني (عروس المسارح).

ورغم كل هذا النجاح في عالم الكوميديا إلا أن الريحاني لم ينس أبداً عشقه للتراجيديا وقد استغل الحادثة الشهيرة (ريا وسكينة) والتي وقعت في عام ١٩٢١ في تقديم مسرحية تراجيدية وشاركته البطولة بديعة مصابنى وقام هو بدور (مرزوق). وبعد هذه المسرحية التي أرضت رغباته الشخصية عاد مرة أخرى إلى الكوميديا من خلال عدة مسرحيات مثل (البرنسيس– الفلوس – لو كنت ملك – مجلس الأنس)..

تزوج الريحاني بديعة مصابنى وفي نزهة لهما على شاطىء روض الفرج وجدا من يقدم كشكش بيه على مسارحها ويزعم أنه الأصلي وأن الريحاني هو التقليد وبعد هذه الصدمة قرر الريحاني أن يسافر في رحلة إلى أمريكا اللاتينية فسافر أولاً إلى البرازيل ومعه بديعة والممثلان فريد صبرى ومحمود التوني وجوجو ابنة بديعة ونزلوا أولاً في سانتوس ومنها إلى سان با ولو حيث قابل (جورج استانى) الشاب السورى الذي كان يقدم كشكش بيه ويسمى نفسه (كشكش البرازيلى) مثلما كان يفعل زوج خالته أمين عطا الله في سوريا. واستمرت الرحلة لمدة عام كامل تجول خلالها في مدن البرازيل والأرغواى والأرجنتين ولكنه لم يعمل فعلياً أكثر من ثلاثين يوماً. والغريب أن يوسف وهبي قد قام مع فرقته بنفس الرحلة ولكنه فشل فشلاً ذريعاً لأسباب غير فنية. وعاد الريحاني إلى مصر ليجد أمين صدقي في انتظاره بعد أن اختلف مع الكسار فألف فرقة ليقدم عروضها في دار التمثيل العربي وقدم بها (قنصل الوز – مراتي في الجهادية)..

وفجأة اختلف مع بديعة بعد أن اتهمته بالإهمال وتم الطلاق بينهما واستأجرت صالتها المعروفة في عماد الدين. وفي عام ١٩٢٧ أعاد تكوين فرقته من أعضاء فرقة يوسف وهبى التي تم حلها وكان يطمح في تقديم روايات تراجيدية ولكن التجربة فشلت مما اضطره إلى العودة إلى كشكش بيه لتعويض خسائره وأعاد تشكيل فرقته وضم إليها شرفنطح – عبد الفتاح القصري وقدم بديع خيري مجموعة من المسرحيات الكوميدية (جنان في جنان – مملكة الحب – الحظوظ – علشان بوسه – آه من النسوان – ابقى اغمزني) وفي عام ٢٨ تم الصلح بينه وبين بديعة وقدما معاً رواية (ياسمينة) من ألحان زكريا أحمد ثم قدما (أنا وأنت – علشان سواد عينها – مصر في سنة ٢٩) ثم اختلفا مرة أخرى وانفصلا. ويواصل الريحاني تقديمه للملحنين الجدد والموهوبين فبعد سيد درويش وزكريا أحمد تعاون مع محمد القصبجى في تقديم رواية (نجمة الصبح) بطولة المطربة الجديدة هدى. وبعدها قدم أول محاولة للاقتباس من خلال رواية (اتبحبح) التي اقتبسها عن الفرنسية. وفي عام ١٩٣١ شكلت الحكومة المصرية لجنة للإشراف على المسرح كان من بين أعضائها الشيخ مصطفي عبد الرازق – د. طه حسين الذي كان يشيد كثيراً بالريحاني وفرقته. وفي نفس العام اقتبس رواية (الجنيه المصرى) عن الفرنسية ورغم جودتها لم تنجح بينما نجحت رواية (المحفظة يا مدام) ثم قدم (الرفق بالحموات) حتى يأخذ مكافأة الحكومة التي كانت تشترط تقديم ثلاث مسرحيات في العام على الأقل.

كان الريحاني بارعاً في اجتذاب الناس وذلك من خلال تقديم أعمال فنية يجد الناس أنفسهم فيها. وكان يحرص على تناول شخصية الإنسان المطحون المكافح في سبيل لقمة العيش. وقد بدأ ترسيخ هذا الاتجاه مع مسرحية (الجنيه المصرى) وبعدها استمر في تقديم روايات هادفة تعرى المجتمع وتفضح مشاكله ولم يكن يكتفي بعرض المشكلة فقط ولكنه كان يحاول تقديم الحلول، ومن أشهر هذه الروايات (الدنيا لما تضحك – الستات ما يعرفوش يكدبوا – لو كنت حليوه – يا ما كان في نفسى – إلا خمسة) وهذه المسرحيات فكاهية في هيكلها ولكن مضمونها يغوص في أعماق النفس البشرية. وكان الريحاني يهتم كثيراً برسم كل شخصية مهما كان دورها ضئيلاً وذلك من خلال (بروزة) كلمات الحوار.

بدأ الريحاني على مسرح الرينسانس بمسرحية (ابقى قابلنى) ثم قدم كشكش بيه في باريس واتفق الريحاني مع ديموكنجس على بناء مسرح جديد أطلقا عليه اسم (الاجيبسيانه) والذي تحول إلى أشهر مسرح في عماد الدين، وبدأ المسرح نشاطه بعرض (أم أحمد) في ١٧ سبتمبر عام ١٩١٧

مجلة الاذاعة والتلفزيون اذار ١٩٧٢

التحرير	التصميم	الاشراف اللغوي
على حسين	مصطفى محمد	محمد السعدي